العنف الجسدى ضد المرأه ومكانتها فى المجتمع تحت أضواء السيرة النبوية

مروة شاكر الشربينى



العنف الجسدى ضد المرأة ومكانتها فى المجتمع

تحت أضواء السيرة النبوية

مروة شاكر الشربينى

دار الكتاب الحديث

1426 هـ / 2005 م



القاهرة	94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم : 2752990 (202 00) فاكس رقم : 2752992 (202 00) بريد إلكتروني : dkh_cairo@yahoo.com
الكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 – 13088 الصفاه هاتف رقم 2460634 (965 00) فاكس رقم : 2460628 (965 00) بريد إلكتروني : ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	B. P. No 061 – Draria Wilaya d'Alger– Lot C no 34 – Draria Tel&Fax(21)353055 Tel(21)354105 E-mail dkhadith@hotmail.com

رقم الإيداع	2004 / 22222
I.S.B.N.	977-350-111-6



إهداء

إلى ..... أئمة العلم ...

تحت كل سماء

مروة شاكر الشربيني

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	9
الباب الأول: المرأة	11
التعريف بالكتاب	13
المرأة	17
المرأة فى الجاهلية	20
صفحات مضيئة	23
أم موسى وامرأة فرعون	25
السيدة هاجر وابنها إسماعيل	31
عظماء النساء فى الإسلام: خديجة بنت خويلد رضى الله عنها	36
سودة بنت زمعة رضى الله عنها	39
السيدة عائشة رضى الله عنها	40
السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما	41
نسيبة بنت كعب	42
الباب الثانى: مكانة المرأة فى الإسلام	45
الباب الثالث: الإسلام والمرأة	53
حقوق المرأة فى الإسلام	59
الزواج	66

الموضوع	الصفحة

الحقوق الخاصة بالزواج	71
المساواة فى الإسلام	74
قذف المحصنات من الكبائر	78
الباب الرابع: الأسرة	81
الأسرة وأهميتها فى الإسلام	83
الأسرة	85
مربيات فى الإسلام (بركة «أم أيمن») حاضنة رسول الله ﷺ	88
حليمة السعدية	90
أسماء بنت أبى بكر	92
الباب الخامس: سماحة الإسلام	95
فكرة الخطيئة الأزلية	101
المسئولية	104
الباب السادس: العولمة والمرأة	109
العولمة	111
المرأة فى عصر العولمة	114
الباب السابع: المرأة بين العالم والعنف الجسدى ضدها	117
وقفة قصيرة	119
المرأة بين العالم والعنف الجسدى ضدها	120
المرأة فى المجتمع العربى والعنف الجسدى ضدها	122
التفرقة بين الذكر والأنثى فى الأسرة	122
الإسلام يرحب بالأنثى منذ ولادتها	124

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
التعليم	124
الإرغام فى الزواج	126
حكمة التشريع للزواج	128
الاغتصاب	129
نظرة المجتمع للرئيسة المرأة	130
الحل: التنشئة الاجتماعية للمرأة المسلمة للحفاظ على هويتها الإسلامية فى عصر العولمة	131



مقدمة

خلق الله الكون فى ستة أيام وأعز فيه مخلوقاته وكرم الإنسان وجعله خليفة له فى الأرض كى يصلح فيهـا ويعمرها ويزرعها بالخيـر والحب، ومن حكمته أنه جعل من كل شىء زوجين، الذكر والأنثى لكى تستمر الحياة.

قال تعالى:

﴿ ... هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ... ﴿١٨٧﴾ ﴾ [البقرة].

وخلق الله آدم وأبدع فى خلـقه، ثـم خلق من ضلعـه حـواء، وبدأ الكون عندما نزل الاثنان معا إلى الأرض، ومن هنا كـانت البداية، حيث إن الله قد خلق حواء لتؤنس وحدته وليكمل كل منهما الآخر.

﴿ ومِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم].

وهذا يعنى أن نشأة عقـد زواج بين مؤمنة ومؤمن هو تأكيد عـلاقة جديدة، إخاء عقيدة، شركة أعباء، صحبة حياة، وحدة هدف، تجاوب ثقافة.

فالمرأة هى عالم خاص قائم بذاته، فهى التى تصنع الإنسان.

حيث إنها:

1 - هى المسئولة الأولى عـن تربية الطفل فى السنوات الأولى، وهى بذلك تبنى الأرضية الأساسية للعقل والشخصية.

2 - قبل أن تتحقق مـقولة التقدم والحرية وبناء المجتـمع يجب أولا أن نعيد إلى نصف المجتمع إنسانيته الكاملة.

نعم إن التقدم والتحضر ومواكبة العصر يعنى الاعتراف بدور جديد تخوض فيه المرأة العربية نفس المصير.

وقد جاء الإسلام بنصيب وافر من التشريع الإسلامى، وأصبحت من هنا ذات مكانة عالية يعترف بدورها فى مسيرة الحياة.

لذلك فإن القرآن هو المصحح والمعالج لكل المفاهيم الخاطئة، فالهدى النبوى وهدى القرآن الكريم قد جعلا لكى شىء علاجًا.

﴿ ... كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف].

نعم إنها رحمة من الله أنها شفاء للقلوب، لكل داء دواء، ودواء هذه الأمة هو الرجوع إلى كتاب الله وإلى الهدى النبوى وإلى سيرة النبى محمد ﷺ، فإن داء هذه الأمة هو البعد عن هدى القرآن والهدى النبوى.

فلا عجب إلا من إنسان يتظاهر بالحب ويسارع إلى الصلاة على الحبيب المصطفى، وهو لا يعرف أى شىء عنه.

إن الحب فى القلوب المتعلمة التى تسير على نوره، إنه النور الذى أضاء هذه الأرض بعد الظلام، إنه الشفاء فى كل الأزمنة لكل القلوب.

الباب الأول

المرأة



التعريف بالكتاب

العنف الجسدى ضد المرأة

عندما نقرأ كلمة عنف يخطر بأذهاننا الضرب والركل والتهديد بالمسدس أو الحرق.

ولكن العنف الجسدى الذى أقصده هو العنف بكل أنواعه، حتى العنف النفسى الذى يؤثر على جسد الإنسان، والعنف عمومًا هو ما يؤثر على الحالة الجسدية والنفسية معًا، حيث إن الإنسان فى بداية خروجه إلى الدنيا عاجزًا يحتاج إلى رعاية وعناية حتى ينمو.

والنمو يسير إلى داخل جسم الإنسان على المستوى الجسمى والنفسى والعقلى وليس الوقوف والمشىء والكلام هو كل النمو الذى يشهده الإنسان فى طفولته، بل إن جسمه يسير قدمًا ليبلغ أشده.

فلا نستطيع أن نقول إن الجسد عندما يتأثر لا يتأثر بالجانب النفسى للإنسان والعكس، حيث إن جسد الإنسان خلية واحدة يجتمع فيها الروح والجسد معا.

بحيث إن الإنسان عندما يتأثر نفسيًا تقل مناعة جسده ويصبح عرضة لجميع الأمراض أو لا يستطيع مقاومة الأمراض التى تصيب ذلك الجسد والعكس صحيح.

فالجانب النفسى مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالجانب الجسدى، فالعنف النفسى الجسدى ضد المرأة يتضمن الآتى:

إذلال المرأة - والتقليل من شأنها وتخويفها - والمعاكسات التليفونية - والتحرش باليد - مناداتها بالأسماء التى لا تحبها - وسوء المعاملة - الإهمال والتحقير والإهانة - التوعد - ورفض الحديث معها فى أى قضية - التجاهل - الصراخ - التهديد بالضرب.

هى فى الحقيقة أساس لسلسلة واحدة، هى امتداد للعنف الجسدى ضدها، حيث إنها سرعان ما تقل مناعتها النفسية والجسدية، فتظهر تلك الآثار التى تتمثل فى:

أعراض الاكتئاب - الأفكار الانتحارية - الشعور بالسلبية - الشعور بعدم القدرة على إيقاع الأذى أو الضرر.

ومن ثم فهى تصبح عاجزة أمام مقاومة الأمراض الجسدية التى يتعرض إليها الجسد فسرعان ما تذبل تلك المرأة، وفى الغالب تهوى فى مستنقع إدمان الكحوليات أو فعل المحرمات أو الانحراف.

وقد تطرق الإسلام إلى مثل هذا العنف النفسى وعالجه القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث حرم الضرب والإهانات والتحقير وما إلى ذلك، فقد ذمها القرآن الكريم وهى أيضًا موجبة لغضب الله.

قال رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح: «استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا». وهو حديث صحيح متفق عليه.

وهو عوج معنوى فالقرآن الكريم حرص كل الحرص على نفسية المرأة، وجعل الإقبال عليها ومودتها ومداعبتها موجبًا لرضاء الله بل وأمر بذلك.

فذلك رسول الله ﷺ مع عائشة فكان يقول لها: «أنا لكِ كأبى زرع لأم زرع»، وأبو زرع يضرب به المثل فى السعادة الزوجية مع أم زرع فى ذلك الوقت.

وجعل الإسلام الضرب للمرأة إذا فعلت شيئًا لا يرضى الله أو فاحشة ولم تطع الزوج بعد شرطين: الأول الموعظة، والثانى الهجر فى البيت. وإن لم ترجع عن تلك الفاحشة له أن يضربها، ولكن بشرط أن يكون ضربًا غير مبرِّح، ولا يتبعه الإهانة أو التحقير، وقيل تضرب بمنديل حتى لا تؤذى.

- عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه[1]:

(... والله إنا كنا فى الجاهلية ما نعد للنساء أمراً، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم). رواه البخارى.

- عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت:

«تبارك الذى وعى سمعه كل شيء، إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليّ بعضه، وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله ﷺ وهى تقول:

«يا رسول الله أكل مالى وأفنى شبابى، ونثرت له بطنى، حتى إذا كبرت سنى، وانقطع ولدى ظاهر منى، اللهم إنى أشكو إليك، قال: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة].

(رواه البخارى - تعليقا - ووصله النسائى وأخرجه أحمد وصححه الحاكم **ووافقه الذهبى)**.

إضاءة على المعنى:

(عن أبى يزيد قال: لقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه امرأة يقال لها (خولة) وهو يسير مع الناس، فاستوقفته، فوقف لها، ودنا منها، وأصغى إليها رأسه فوضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها، وانصرفت، **فقال له رجل: يا أمير المؤمنين** حبست رجال قريش على هذا العجوز، قال: **ويحك! أتدرى من هذه؟ قال: لا،** قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عنى إلى الليل، ما انصرفت حتى تقضى حاجتها).

---

(1) رياض الصالحين (جمعه وعلق عليه) - بدوى محمود الشيخ.

فقد أشار الحديث إلى كيف أنصف الله تلك المرأة من السماء.

وأشار إلى درجة كرامة المرأة فى الأمة، تلك الكرامة التى نزلت من السماء على سيد المرسلين إنصافًا للمرأة حرصًا على الأمة وعلى الأجيال التى تنشئها المرأة، فقد كان آخر ما قاله النبى ﷺ قبل وفاته: «استوصوا بالنساء خيرًا».

المرأة

نعايش المرأة... ولا نكاد فى حياتنا نستغنى عنها!

الصلة بيننا وبينها وثيقة؛ فهى أم، وأخت، وزوجة، وبنت، وشقيقة.

ومنا من ينعم بقربها!!

ومنا من يحترق بلهيب نارها!

ويحار فيها الفكر أحيانًا، فيصرخ الرجل، لقد ضاع من قدمى الطريق! يا لشقائى!! إننى لا أستطيع أن أعيش معها.. ولا أستطيع العيش بدونها!! فكيف السبيل؟! وأين الطريق؟!

قال عنها الفلاسفة والشعراء ما قالوا، وأطلقوا العنان لتصوراتهم وتخيلاتهم فى وصف طبيعتها كما بدت لهم، فقالوا عنها:

فيها من القمر استدارته..

ومن البحر عمقه..

ومن النجوم لمعانها..

ومن شعاع القمر حرارته..

ومن الندى قطراته..

ومن الريح تقلباتها وعدم ثباتها..

ومن النبات ارتجافه وارتعاشه..

ومن الورد لونه وعطره..

ومن الأزهار مخملها..

ومن الأوراق خفتها..

ومن الأغصان تمايلها..

ومن حفيف الأشجار حنينها وأنينها..

ومن النسيم لطفه ورقته..

ومن العسل طعمه وشهده..

ومن الذهب شعاعه..

ومن الماس قساوته..

ومن الحية حكمتها..

ومن الحرباء تلونها..

ومن الغزال شروده..

ومن المها عيونها..

ومن الأرنب خجله وحياؤه..

ومن الطاووس خيلاؤه وزهوه..

ومن الأسد شراسته وقوته..

ومن الثعلب مكره وروغانه..

ومن اليمامة نغمتها..

ومن العقرب لذعته..

ومن الببغاء هذيانها وكثرة كلامها[1]..

---

(1) انظر كتاب طبائع النساء للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي.

فتعالوا نعرف أكثر عن المرأة والعنف الجسدى ضدها ومكانتها فى هذا المجتمع ولا ننسى الهدى النبوى والقرآن الكريم الذى قال:

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها... ① ﴾ [النساء].

* فكلانا ينتمى إلى الخالق المبدع ونحن جميعًا صنعته وخلقه.

المرأة فى الجاهلية

إن العنف فى الجاهلية كان من أبشع أنواع العنف الذى ارتكبه البشر فى ذلك الوقت ضد المرأة فكانت هذه العصور مليئة بالعنف والأفكار الخاطئة.

فالمرأة كـانت كالحـيوانات التى تأكـل وتعيش لتلد للناس. فلم تكن إنـسـانًا مكتمل الحقوق.

إنما كانت شيـئًا لا يعترف به، فمن العـادات السـيئة التى كـانت فى الجاهلية ضد المرأة[1]:

1 - نكاح الاستبضاع:

وهو أن تحيض امرأة الرجـل منهم، فتطهـر فـيطلب لهـا أشراف الرجـال وخيارهم نسبًا وأدبًا، ليطئوها من أجل أن تنجب ولدًا يرث صفات الكمال.

2 - وأد البنات:

وذلك خوفًا من العار أو الأسر أو الفقر، وقد حرم الله ذلك فى كتابه العزيز إذ قال:

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ [التكوير].

3 - تبرج النساء:

بخروج المرأة كاشفة عن محاسنها.

4 - اتخاذ الحرائر من النساء الأخدان من الرجال:

وذلك بالاتصال بهم وتبادل الحب معهم فى السر.

---

(1) انظر كتاب هذا الحبيب لأبو بكر الجزائرى.

قال تعالى:

﴿ ... ولا متخذات أخدان ... ﴿٢٥﴾ ﴾ [النساء]، وحرم الله ذلك أيضًا على الرجال إذ قال: ﴿ ... ولا متخذي أخدان ... ﴿٥﴾ ﴾ [المائدة].

5 - إعلان الإماء عن البغي بهن:

وذلك بأن تجعل إحداهن راية حمراء على باب منزلها لتعرف أنها بغي ويغشاها الرجال وتأخذ على ذلك أجرا.

أى مالا مقابل الاستبضاع.

وأيضًا فى قوانين اليونان نجد أن المرأة كانت تدخل ضمن ممتلكات ولى أمرها، فهى قبل الزواج.. ملك لأبيها أو أخيها، أو من يلى أمرها.. وهى بعد الزواج ملك لزوجها.. فليس لها تصرف فى نفسها.. وهى لا تملك ذلك.. لا قبل الزواج ولا بعده.. وهى تباع لمن يشتريها.. والذى يقبض الثمن هو ولى الأمر![1].

وفى القانون الرومانى.. كانت المرأة تعامل كالطفل أو كالمجنون، أى لا أهلية لها، وكان لرب الأسرة أن يبيع من يشاء من النساء، ممن هن تحت ولايته وتظل المرأة تحت سلطان ولى أمرها، سواء كان أبا أو زوجا إذا كان للميت ذكور وهذا موجود فى الإصحاح 21 من سفر التكوين.

إن قوانين الأحوال الشخصية للإسرائيليين تقول:

«إذا توفى الزوج ولا ذكور له.. تصبح أرملته زوجة لشقيق زوجها، أو لأخيه من أبيه، ولا تحل لغيره إلا إذا تبرأ منها ورفض الزواج بها».

وفى القانون الصينى.. كانت القاعدة أن النساء لا قيمة لهن.. ويجب أن يعطين أحقر الأعمال.

---

(1) انظر كتاب المرأة فى القرآن للشيخ محمد متولى الشعراوى.

وفى القوانين الهندية:

لا يحق للمـرأة فى أى مرحلة مـن مراحل حـياتهـا أن تجرى أى أمـر وفق مشيئتهـا ورغبتها، فإن المرأة فى مراحل طفولتها تتـبع والدها، وفى مراحل شبابها تتبع زوجها، فإن مات الزوج تبعت أولادها.

صفحات مضيئة

1 - بلقيس:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فمكثَ غيرَ بعيدٍ فقال أحطتُ بما لم تُحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين (٢٢) إني وجدتُ امرأةً تملكهم وأوتيتْ من كلِّ شيءٍ ولها عرشٌ عظيمٌ (٢٣)﴾ [النمل].

«فمكث» الهدهد «غير بعيد»، أى غاب زمانًا يسيرًا، ثم جاء فقال لسليمان: «أحطت بما لم تحط به» أى اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك، «وجئتك من سبأ بنبأ يقين» سبأ هم ملوك اليمن، ثم قال: «إني وجدت امرأة تملكهم» قال الحسن البصري: وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ.

وقال عبد الرازق أنبأنا معمر عن قتادة فى قوله تعالى: «إني وجدت امرأة تملكهم» كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثنى عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل، وكانت بأرض يقال لها مأرب على ثلاثة أميال من صنعاء. «وأوتيت من كل شيء» أى من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك المتمكن، «ولها عرش عظيم» يعنى سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب وأنواع من الجواهر واللآلئ.

قال ابن محمد: كان من ذهب وصفحاته مرمولة بالياقوت والزبرجد، طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا، قال ابن إسحاق: كان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ وكانت إنما يخدمها النساء ولها ستمائة امرأة تلى الخدمة.

قال علماء التاريخ: كان هذا السرير فى قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم، وكان فيه ثلاثمائة وستون طاقة من مشرقه ومثلها من مغربه.

﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل].

«اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون» وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتابًا إلى بلقيس وقومها وأعطاه إلى الهدهد فحمله، قيل فى جناحه وقيل بمنقاره وجاء إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس إلى الخلوة التى كانت تختلى فيها بنفسها فألقاه إليها فى كوة هنالك بين يديها، ثم تولى نحايه أدب رياسة فتحيرت مما رأت وهالها ذلك، ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته ففتحت ختمه وقرأته فإذا فيه «إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علىَّ وأتونى مسلمين» فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها.

ثم قالت: «يا أيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم» تعنى بكرمه ما رأته من عجيب أمره كون طائر جاء به فألقاه ثم تولى عنها أدبًا وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ثم قرأته عليهم[1]:

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل].

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم فى أمرها، وما قد نزل بها ولهذا قالت: «يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون»، أى حتى تحضرون وتشيرون «قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين»، أى منوا إليها بعددهم وقوتهم ثم فوضوا إليها الأمر بعد ذلك، وقالوا نحن ليس لنا عاقه عنه، وبعد هذا فالأمر إليك مرى فينا رأيك نتمثله ونطيعه،

(1) تفسير سورة النمل (تفسير ابن كثير).

فلما قـالوا لها ما قالوا كـانت هى أحزم رأيا منهم، وأعلم بأمر سليـمان، وأنه لا قبل لها بجنـوده وجـيوشه ومـا سخر له من الجن والإنس والطير، وقد شاهدت من قضـية الكتـاب مع الهـدهد أمرًا عجيبًا بديعًا، فـقالت لهم: إنى أخشى أن نحـاربه ونمتـنع علـيه فيـقـصدنا بجـنوده ويهلكنا بمن معـه ويخلص إلىّ وإليكم الهـلاك والدمار دون غـيرنا، ولهـذا قالت: «إن الملوك إذا دخلوا قـرية أفسـدوها وجعلوا أعـزة أهلها أذلة»، أى قصدوا من فـيها من الولاة والجنود فـأهانوهم غاية الهوان إما بالقتل أو بالأسر. وقـال الرب عز وجل: «وكذلك يفعلون»، ثم عدلت إلى المصالحـة والمهادنة والمسالمة والمخـادعة والمصانعـة فقالت: «وإنى مـرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون»، أى سأبعث إليـه بهدية تليق به وأنظر ماذا يكون جوابه، قـال قتادة رحمه الله: مـا كان أعقلها فى إسـلامها وشركـها، علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس.

وقال ابن عباس: قـالت لقومها إن قبل الهدية فقاتلوه، وإن لم يقـبلها فهو نبى فاتبعوه.

2 - أم سيدنا موسى وامرأة فرعون:

قد ذكـر القرآن الكريم عددا من النسـاء اللاتى كان لهم دور بارز فى تاريخ البشـرية كـ (حواء)، و(أم موسى) عليـه السـلام، و(زوجة فرعـون)، و(مريم بنت عمران)[1].

فقد اصطفى الله (أم موسى) وكلفها بأشياء فعلتها.

كمـا أن لها دورا مهمًّـا فى حياة (مـوسى)، و(هارون) فهى من تربى على يدها هارون، وكان لها دور أيضًا فى حياة (موسى) إذ أنها أول من علمته وأرضعته وعاش معها فى سنينه الأولى.

---

(1) انظر بحث: نسـاء حـول الرسول ﷺ لـ نور الشام محمـد أحمد. أجازه الشـيخ/ أحمد حسن شلوبة - المعهد العالى للدراسات الإسلامية - الخرطوم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القصص][1].

ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بنى إسرائيل خافت القبط أن يفنى بنو إسرائيل فيلَوْنَ هم ما كانوا يلَوْنَهُ من الأعمال الشاقة، فقالوا لفرعون إنه يوشك إن استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم وغلمانهم يقتلون، ونساؤهم لا يمكن بما يقوم به رجالهم من الأعمال فيخلص إلينا ذلك فأمر بقتل الولدان عامًا وتركهم عامًا، فولد هارون عليه السلام فى السنة التى يتركون فيها الولدان، وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها الولدان، وكان لفرعون ناس موكلون بذلك وقوابل يدورون على النساء فمن رأينها قد حملت أحصوا اسمها، فإذا كان وقت ولادتها لا يقبلها إلا نساء القبط فإن ولدت المرأة غلاما دخل أولئك الذباحون بأيديهم الشفار المرهفة فقتلوه ومضوا قبحهم الله تعالى، فلما حملت أم موسى به عليه السلام لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها، ولم تفطن لها الدايات، ولكن لما وضعته ذكرًا ضاقت به ذرعا وخافت عليه خوفًا شديدًا وأحبته رائدا وكان موسى عليه السلام لا يراه أحد إلا أحبه فالسعيد من أحبه طبعًا وشرعًا، قال الله تعالى: «وألقيت عليك محبة منى» فلما ضاقت به ذرعا ألهمت فى سرها وألقى فى خلدها وأنفث فى روعها، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص]، وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل، فاتخذت تابوتًا ومهدت فيه مهدًا، وجعلت ترضع ولدها فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعته فى ذلك التابوت وسيرته فى البحر وربطته بحبل عندها، فلما كان ذات يوم دخل

(1) تفسير ابن كثير - سورة القصص.

عليها من تخافه فذهبت فوضعته في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وذهلت أن تربطه فذهب مع الماء واحتمله حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الجوارى فاحتملنه فذهبن به إلى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه وخشين أن يفتتن عليها في فتحه دونها، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه، وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوة بعلها ولهذا قال: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾. معناه أن الله تعالى قيضهم لالتقاطه ليجعله عدوا لهم وحزنا فيكون أبلغ في إبطال حذرهم منه ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ يعني أن فرعون لما رآه همَّ بقتله خوفًا من أن يكون من بني إسرائيل فشرعت امرأته آسية بنت مزاحم تخاصم عنه وتذب دونه وتحببه إلى فرعون فقالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِي ولك﴾، فقال فرعون: أمّا لك فنعم وأمّا لي فلا، فكان كذلك وهداها الله بسببه وأهلكه الله على يديه وقوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا﴾ وقد حصل لها ذلك وهداها الله به.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)﴾ [القصص].

يقول تعالى مخبراً عن فؤاد أم موسى حين ذهب ولدها في البحر أنه أصبح فارغًا، أى من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى، وقال: **﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾** أى أنها كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لتظهر أنه ذهب لها ولد وتخبر بحالها لولا أن الله ثبتها وصبرها.

قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾، أى أمرت ابنتها وكانت كبيرة تعي ما يقال لها، فقالت لها: «قصيه» أى

اتبعي أثره وخذى خبره وتطلبى شأنه من نواحى البلد فخرجت لذلك ﴿فبصُرت به عن جُنُب﴾. قال مجاهد بصرت به عن جنب: عن بعد. وقال قتادة جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده، وذلك أنه لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون وأحبته امرأة الملك واستطلقته منه عرضوا عليه المراضع التى فى دارهم فلم يقبل منها ثديا، وأبى أن يقبل شيئا من ذلك فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، فلما رأته بأيدهم عرفته ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها.

قال الله تعالى: ﴿وحَرَّمْنا عليْه الْمراضعَ من قَبْلُ﴾ أى تحريما قدريا وذلك لكرامته عند الله وصيانته له أن يرتضع غير ثدى أمه، ولأن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سببا إلى رجوعه إلى أمه لترضعه وهى آمنة بعدما كانت خائفة، فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾.

قال ابن عباس: فلما قالت ذلك أخذوها وشكُّوا فى أمرها، وقالوا لها: وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت لهم: نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم فى سرور الملك ورجاء منفعته فأرسلوها، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم، ذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه أعطته ثديها فالتقمه ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا وذهب البشير إلى امرأة الملك فاستدعت أم موسى وأحسنت إليها وأعطتها عطاء جزيلاً، وهى لا تعرف أنها أمه فى الحقيقة، ولكن لكونه وافق ثديها، ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه فأبت عليها وقالت: إن لى بعلاً وأولادًا ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه فى بيتى فعلت.

فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك وأجرت عليها النفقة والصلات والكساوى والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله بعد خوفها أمنا فى عز وجاه ورزق دارّ. ولهذا جاء فى الحديث: «مثل الذى يعمل ويحتسب فى صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها»، ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل يوم وليلة أو نحوه، والله أعلم فسبحان من بيده

الأمر، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الذى يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجًا، وبعد كل ضيق مخرجًا، ولهذا قال تعالى: ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها﴾ أى به ﴿ولا تحزن﴾، أى عليه ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ أى فيما وعدها من رده إليها فجعله من المرسلين، فعاملته فى تربيته ما ينبغى له طبعًا وشرعًا.

وقوله تعالى: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾، أى حكم الله فى أفعاله وعواقبها المحمودة التى هو المحمود عليها فى الدنيا والآخرة، فربما يقع الأمر كريها إلى النفوس وعاقبته محمودة فى نفس الأمر، كما قال تعالى: ﴿... وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم... (٢١٦)﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿... فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (١٩)﴾ [النساء].

امرأة فرعون وموسى عليه السلام:

ولما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى أزيرينى ابنى فدعتها يومًا تزورها إياه فيه. وقالت امرأة فرعون لخزانها وظؤرها وقهارمتها لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابنى اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك، وأنا باعثة أمينًا يحصى ما يضع كل إنسان منكم، فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها نحلته وأكرمته وفرحت به ونحلت أمه لحسن أثرها عليه، ثم قالت لآتين به فرعون فلينحلنه وليكرمنه، فلما دخلت به عليه جعله فى حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض، فقال الغواة من أعداء الله لفرعون: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه أنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك، فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه فجاءت امرأة فرعون فقالت: ما بدالك فى هذا الغلام الذى وهبته لى؟ فقال: ألا ترينه يزعم أنه يصرعنى ويعلونى[1].

---

(1) تفسير ابن كثير (حديث الفتون فى سورة طه).

فقالت اجعل بيني وبينك أمراً يعرف الحق به، ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقدمهن إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقرب إليه الجمرتين واللؤلؤتين فتناول الجمرتين فانتزعهما منه مخافة أن يحرق يده فقالت المرأة: ألا ترى؟!

وكبر موسى فى بيت فرعون وقد ساندته زوجة فرعون وآمنت به عندما نزلت عليه الرسالة ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم][1].

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم، كما قال تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ... ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران].

قال قتادة: كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه.

قال: كانت امرأة فرعون تعذب فى الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها فى الجنة.

وكانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فيقال غلب موسى وهارون، فتقول آمنت برب موسى وهارون، فأرسل إليها فرعون فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهى امرأتى، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها فى الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح، فذلك قولها: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾.

(1) تفسير ابن كثير (سورة التحريم).

3 - مريم بنت عمران:

﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴿١٢﴾﴾ [التحريم].

قوله تعالى: «ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها»، أى حفظته وصانته والإحصان هو العفاف والحرية، «فنفخنا فيه من روحنا» أى بواسطة الملك وهو جبريل، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها فى صورة بشر سوى وأمره الله تعالى أن ينفخ فيها، ولقد أتى بذلك عيسى عليه السلام(1).

قال الإمام أحمد: حدثنا يونس حدثنا داود بن أبى الفرات عن علباء عن عكرمة عن أبى عباس قال:

خط رسول الله ﷺ فى الأرض أربعة خطوط، وقال: «أتدرون ما هذا؟». قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، فاطمة بنت محمد، مريم بنت عمران، آسية بنت مزاحم امرأة فرعون».

وكان لمريم أثر كبير فى حياة عيسى عليه السلام، حيث ربته وسافرت به هربًا من بطش بنى إسرائيل.

4 - السيدة هاجر وابنها إسماعيل:

روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء إبراهيم عليه السلام بأم إسماعيل (هاجر)، وبابنها إسماعيل، وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة (شجرة) فوق زمزم من أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعها هناك، ووضع عندهما جرابا (كيسًا) فيه تمر، وسقاء فيه ماء(2).

---

(1) انظر تفسير ابن كثير (سورة التحريم).

(2) انظر كتاب تربية الأولاد فى الإسلام. د/ عبد الله ناصح علوان - الناشر - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

ثم قضى (رجع) إبراهيم عليه السلام منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شيء؟!!...

قالت له ذلك مرارًا، وهو لا يتلفت إليها!!

هاجر: آلله أمرك بهذا؟

إبراهيم: نعم.

هاجر: إذن لا يضيعنا!!

ثم رجعت، فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثَّنِيَّة (مكان بمكة) حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهذه الدعوات، فرفع يديه فقال:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء.. حتى إذا نَفِدَ ما فى السقاء عطشت وعطش ولدها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهة أن تنظر إليه، فوجدت (الصفا) أقرب جبل فى الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدًا؟ فلم تَرَ أحدًا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طَرَفَ دِرعِها (ثوبها) ثم سعت سعى الإنسان المجهد (المتعب) حتى جاوزت الوادى، ثم أتت المروة، فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس رضى الله عنهما: إن رسول الله ﷺ قال: «فذلك سعى الناس بينهما».

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صهْ!! - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضًا، فقالت: قد أسمعتَ إن كان عندك غُواث (إغاثة) فأغثْ. إذا هى بملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو قال: بجناحه حتى فجر الماء، فجعلت تحوّضهُ (تجعله حوضًا). وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرفُ بسقائها وهو يفور بعدما تغرف، فشربت وأرضعت ولدها.

قال ابن عباس رضى الله عنهمـا: قال النبى ﷺ: «رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم عينًا معينًا».

فقال لها الملك: «لا تخافوا ضيعةً (هلاكًا)، فإن ههنا بيتًا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله».

وكان البيت مرتفـعًا من الأرض كالرابية تأتيه السيـول فتأخذه عن يمينه وعن شماله.

فكانت كذلك حتى مرت بهم رُفقة من جُرْهُم (اسم قبيلة) مقبلين من طريق كَداء (اسم موضع)، فنزلوا فى أسفل مكة، فرأوا طائرًا عـائفًا (حائمًا) فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء!!.. لعـهدُنا بهذا الوادى وما فيه مـاء!، فأسرلوا جَرِيًا (رائدًا) فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم، فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء.

جرهم: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟

هاجر: نعم، ولكن لا حقّ لكم بالماء.

جرهم: نعم.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: قال رسول الله ﷺ:

«فألفى ذلك (وَجَدَ الحبى) أم إسماعيل وهى تحب الأنس».

فنزلوا فأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كانوا بها أهل أبيات وشبّ الغلام[1]، وعندما كبر إسماعـيل وأصبح أهلاً لأن يسعى ويعمل ولو برعى الماشية وصيد الظباء والطيـور. وجاء إبراهيم يتعهد تركته: إسـماعيل ابنه وهاجر أم ولده عليهم السـلام، وأوحى إليه الربُّ تعـالى منامًا - ورؤيا الأنبـياء وحى - أن اذبح إسماعيل قربانا لنا. واستشار إبراهيم إسماعيل فى ذلك قائلاً: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ... ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات]، فأجاب

(1) انظر كتاب هذا الحبيب، أبو بكر جابر الجزائرى، المكتبة التوفيقية.

إسماعيل قائلا: ﴿... افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات].

وأراد إبراهيم تنفيذ أمر ربه، فخرج بإسماعيل ولده إلى منى، ليذبحه قربانًا لربه حيث أمره، ولما تله للجبين والمُدْيَةُ بيده - وقبل الإجهاز عليه ناداه ربه ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات]، وفداه بذبح عظيم، أى بكبش أملح كبير، فترك الولد وذبح الكبش، وفاز بالرضا الولد والوالد.

وهنا عبرة فى حياتها: حيث تترك هاجر بوادٍ قفر موحش، لا أنيس به من قريب ولا بعيد، فتتجلى حقيقة إيمانها فى مستوى لن يرقى إليه غيرها من نساء العالمين إذ تقول: اذهب، فإنه لا يضيعنا.

وهذا هو الإيمان، وهذا هو التوكل، الثمرة الشهية لعقيدة الإيمان الحية.

وهاجر هى منبت عز ومجد كانا لنا، إنها أم إسماعيل، الذى ينتهى إليه نسب سيد المرسلين محمد الحبيب عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وإن فى صبر هاجر على ذبح ولدها - وصبر إسماعيل على ذبح نفسه لآية دالة على طيب الأم وولدها، فلذا اختيرا لأن يكونا جدين لسيد المرسلين الحبيب محمد ﷺ. إن طيوبة الأصول تنتقل إلى الفروع، وقد تزهو الفروع على أصولها.

ولما أدرك إسماعيل تزوج امرأة جرهمية، وماتت أم إسماعيل.

وتكاثرت ذرية إسماعيل وأخذت تنتشر شرقًا حتى الخليج الفارسى وشمالاً نحو البحر الأبيض المتوسط وجنوبًا حتى خليج عدن(1).

---

(1) انظر كتاب قصة الديانات، تأليف/ سليمان مظهر.

وأصبح أبناء إسماعيل وأحفاده ومن جاء من نسلهم جنسًا اسمه العرب.

وأصبح أبناء إسحاق الذى أنجبه إبراهيم بعد ذلك من زوجته سارة جنسًا آخر هم اليهود.. ومن نسلهم كان المسيحيون.

عظماء النساء فى الإسلام

كانت المرأة فى العصور الإسلامية تأخذ أكبر قدر من المساواة تعجز الدول عن منحها حتى الآن.

ومن ثم فنحن أمة الإسلام علينا الاقتداء بالنبى الكريم وآل بيته فهم القدوة الحسنة لنا، وقد كرمهم الله بأن جعل زوجات النبى أمهات للمؤمنين فهيا نتعرف على جوانب من سيرة بعض أمهات المؤمنين.

1 - خديجة بنت خويلد (رضى الله عنها)(1):

نشأت السيدة خديجة فى دار خويلد أسد فى مكة.

وقد امتاز خويلد بين قريش بالسيادة والأمر والنهى، يؤخذ رأيه فى المشكلات، ولا تقضى الأمور بدونه، وحوله أسرته العريقة، تسانده وتقف بجانبه.

كما عرف بعطف شديد على الفقراء والمساكين، ورحمةٍ واسعةٍ بالضعفاء والمحتاجين.

وقد رأى خويلد فى خديجة كثيرًا من صفاته، فزاد حبه لها وسره فيها قلبها الكبير، ونفسها الطيبة، وذكاؤها اللماح، وعزيمتها القوية، وإدراكها السريع، وحسن تصريفها للأمور. وإذا جلس فى الدار، وتابع باهتمام وجوه نشاطها، وخفة حركاتها، وما تشيعه من البهجة والأنس، ابتسم ابتسامة راضية حانية، وجعل يقلب كفيه عجبًا، وهو يحدث نفسه قائلاً:

---

(1) انظر كتاب مدرسى (خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها) مقرر للصف السادس الابتدائى، تأليف: احمد محمد صقر.

- ما أظلم أولئك الذين يكرهون البنات، وما أقسى حكمهم عليهن، وكيف تُقْدِم تلك القلوب المتحجرة على وأدهن؟! أليس فيهن مثل خديجة؟!

وكثيرًا ما كان يدعوها إليه ويحدثها، ويطيل حديثها، مستطيبًا هذا الوقت.

وعندما جاء زوج إلى خديجة استشارها خويلد وأخذ برأيها وتزوجت عتيقًا وقد كان تاجرًا وعرف بالصدق والأمانة فى ذلك الوقت.

واطمئن لها عتيق وأحبها كثيرًا حيث أطاعته، واحترمته، وشجعته وعند انقضاء عام رزقا بمولودة جميلة، ولم ينتصف العام الثانى حتى مات عتيق وترك لها ثروة ضخمة، من المال والتجارة الواسعة وحزنت خديجة على زوجها حزنًا شديدًا.

ومرت السنون وخديجة لا هم لها إلا ابنتها وإدارة تجارتها التى تولت مسئوليتها.

ودخل أبوها يومًا يحدثها عن طلب النباش بن زرارة التميمى الزواج منها.

وأخبرت خديجة أباها أنها وهب نفسها للعناية بتربية ابنتها، ولكن أباها أخذ يكرر فى ذلك الطلب حتى وافقت أخيرًا على الزواج.

ووجد النباش فى خديجة الزوجة الوفية العاقلة المدبرة فأخلص لها.

وعند انقضاء عام رزقا بولد أسماه (هالة) ولم يمر العام الثانى حتى رزقا ولدًا آخر أسماه (هند).

وابتليت خديجة بوفاة أبى هالة فجأة، وبعد فترة مات والدها خويلد، وحزنت السيدة خديجة على فقدان والدها كما حزنت على فقدان زوجها.

وهكذا ترك لها والدها وزوجها أموالاً وتجارة كبيرة فقامت خديجة باستئجار الرجال الذين يسافرون بتجارتها.

وسرعان ما أصبح بيت السيدة خديجة التجارى، من البيوت الكبيرة فى

مكة، وصارت مخازنها من أوسع المخازن وأشهرها، وامتاز مالها وتجارتها بالحلال والحق، لا نقصان ولا تطفيف فى الكيل والميزان كما أنها عرفت حق الفقراء والمحتاجين.

وفى يوم من الأيام، ذهب إليها أبو طالب، وجلسا يتحدثان فى أمور القافلة والتجارة، ثم طلب أبو طالب من خديجة أن يعمل محمد معها فى قافلة الشام.

وكان محمد قد ملأ الأسماع بأمانته، وصدقه، وإخلاصه فى عمله، وغدا مثال العفة والطهارة، فوافقت خديجة باسمة.

وسلمته مالها وبعثت معه غلامًا لها وأمرت هذا الغلام أن يطيعه وينفذ أمره، وعندما رجعت القافلة رجعت بربح كثير فعجبت به خديجة، فقد كان الغلام اسمه ميسرة، ورأى من الآيات فى سفره مع الحبيب ﷺ أنه رأى ملكين يظللانه من حر الشمس إذا اشتدت الهاجرة، كما أنه ﷺ نزل يومًا تحت ظل شجرة قريبة من صومعة راهب، فرآه الراهب فسأل ميسرة عنه[1].

فقال له: هو رجل من أهل الحرم قرشى، فقال له الراهب: إنه ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى.

وأخبر ميسرة خديجة عن الراهب وأمر الملكين اللذين يظللانه من حر الشمس فزادها سرورًا.

وبعثت خديجة إليه ﷺ تقول يا ابن عم، إنى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك فى قومك، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها ليتزوجها.

وكانت أول زوجات النبى ﷺ. تزوجها قبل البعثة وهو ابن خمسة وعشرين وهى ثيب (أرملة) بنت أربعين[2].

---

(1) انظر هذا الحبيب لأبى بكر الجزائرى، المكتبة الوفيقية.

(2) تفسير سورة النور، روائع البيان لـ محمد على الصابونى.

وقد اختارها صلوات الله عليه لسداد رأيها، ووفرة ذكائها، وكان زواجه بها زواجا حكيما موفقا، فـهى أول من آمن به على الإطلاق، ومما شهد لقوة عقلها، وسداد رأيها، أن رسـول الله ﷺ حين جاءه جبريل وهو فى غـار حراء رجع إلى زوجته يرتجف، فدخل عليها وهو يقول لها:

زملونى زملونى، حتى ذهب عنه الروع، فـحدث خديجة بالخبـر وقال لها: «إنى قد خشيت على نفسى» فقـالت له: «أبشر كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق».

وقد قضى الرسول معها زهرة شبابه، فلم يتزوج عليها، ولا أحب أحدا مثل حبها، فكانت السيـدة عائشة تغار منها مع أنها لم تجتمع مـعها ولم ترها حتى إنها تجرأت عند ذكره ﷺ لها فقالت:

وهل كانت إلا عجوزاً فى غابر الأزمان، وقد أبدلك الله خيرا منها. فغضب رسول الله ﷺ من هذه الكلمة وقـال لها: «لا والله ما أبدلنى الله خيـراً منها لقد آمنت بى إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى منها الولد دون غيرها من النساء» قالت فلم أذكرها بسوء بعده أبدا.

2 - السيدة سودة بنت زمعة[1]:

وهى الزوجـة الثـانيـة لرسـول الله ﷺ، وهى أرملة (السكران بن عـمـرو الأنصارى)، أسلمت وهاجرت مع زوجـها إلى الحبشة وبعد العـودة مات زوجها، وليس من أهلها من آمن بالله ورسوله سواها، فلا معيل لها ولا معين، ولو عادت إلى أهلهـا - بعد وفـاة زوجهـا - لاكرهوها على الشـرك أو عذبوها عـذابًا نكرًا ليفتنوها عن الإسلام.

---

(1) تفسير سورة النور (روائع البيان) لـ مـحمد على الصابونى، الناشر دار عمر بن الخطاب، ص 330، 334.

تزوجها رسول الله ﷺ صيانة لها وتكريمًا عن بلائها في الله، وتأليفًا لأعدائه من أهلها، وقد تنازلت عن حظها من الرجال لكبرها وعزوفها إلى السيدة عائشة وهكذا كان زواج رسول الله ﷺ منها تكريمًا لإيمانها وحسن بلائها، وتأليفًا لقومها بنى عبد شمس[1].

3 - السيدة (عائشة بنت أبى بكر الصديق) رضى الله عنها:

تزوجها عليه السلام وكانت بكرا، وهى البكر الوحيد من نسائه الطاهرات فلم يتزوج بكراً غيرها.

فقد أراد رسول الله ﷺ أن يوثق عرى المحبة بينه وبين وزيره الأول أبى بكر، وأن يكرم صاحبه الوفى الأمين الذى صدقه يوم كذبه الناس، وآمن به يوم كفر به الناس، فخطب ابنته عائشة رضوان الله عليها.

وكانت عائشة أذكى نساء المؤمنين وأحفظهن، بل كانت أعلم من أكثر الرجال، فقد كان كثير من علماء الصحابة، يسألونها عن بعض الأحكام التى تشكل عليهم فتحلها لهم.

روى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال: (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علم).

وقال أبو الضحى عن مسروق، (رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ يسألونها عن الفرائض).

وقال عروة بن الزبير: (ما رأيت امرأة أعلم بطب، ولا فقه، ولا شعر من عائشة).

ولا عجب.. فهذه كتب الحديث تشهد بعلمها الغزير، وعقلها الكبير، فلم يرو فى الصحيح أحد من الرجال أكثر مما روى عنها إلا شخصان هما، أبو هريرة، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما.

---

(1) الزواج وآداب الزفاف - أنور على عاشور - مكتبة القرآن.

وكان ﷺ يحب عائشة أكثر من بقية نسائه، وكان يعدل بينهن فى القسمة ويقول: اللهم هذا قسمى فيما أملك، فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك. ولما نزلت آية التخيير بدأ بعائشة فقال لها: إنى ذاكر لك أمرًا فلا تعجلى حتى تستأمرى أبويك، قالت: وقد علم أن أبوىّ لم يكونا يأمرانى بفراقه فقرأ عليها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾﴾ [الأحزاب] فقالت: أوَفيك أستأمر أبوى؟! فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

ولقد كانت مصاهرة الرسول للصديق أبى بكر، أعظم منة ومكافأة له فى هذه الحياة الدنيا، كما كانت خير وسيلة لنشر سنته المطهرة، وفضائله الزوجية، وأحكام شريعته.

4 - السيدة (حفصة بنت عمر بن الخطاب) رضى الله عنها[1]:

تزوجها النبى ﷺ وهى أرملة، وكان زوجها (خنيس بن حذافة) الأنصارى قد استشهد فى غزوة بدر، بعد أن أبلى بلاء حسنًا، فقد كان من الشجعان الأبطال، الذى سجل لهم التاريخ أنصع الصفحات فى البطولة والرجولة والجهاد.

وقد عرضها أبوها (عمر) رضى الله عنه على عثمان بعد وفاة زوجته (رقية) بنت الرسول ﷺ، ثم تزوجها الرسول ﷺ فكان ذلك أعظم إكرام ومنة وإحسان لأبيها عمر بن الخطاب.

يقول الإمام البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: إن عمر حين تأيمت حفصة من (خنيس بن حذافة) - وكان شهد بدرًا وتوفى بالمدينة - لقى عثمان فقال: إن شئت أنكحتك حفصة؟ قال: سأنظر فى أمرى. فلبث ليالى، فقال: قد بدا لى ألا أتزوج. قال عمر: فقلت لأبى بكر: إن شئت أنكحتك حفصة؟ فكنت عليه أوجد منى على عثمان، فلبث ليالى ثم خطبها النبى ﷺ فأنكحتها إياه.

---

(1) تفسير سورة النور - روائع البيان لـ محمد على الصابونى.

فلقيـنى أبو بكر فقـال: لعلك وجدت عليَّ حين عـرضت لى حفـصة فلم أرجع إليك شيـئًا، قلت: نعم. قـال: إنه لم يمنعنى أن أرجع إليك إلا أنى علمت أن النبى ﷺ ذكرها، فلم أكن لأفشى سره، ولو تركها لقبلتها[1].

وهكذا كان زواج رسول الله ﷺ من السيدة حفـصة بعد عائشة بثلاث سنين تكريمًا لأبيها.

5 - نسيبة بنت كعب[2]:

كانت نسـيبة بـنت كعب ربة منزل مسلمـة صادقـة الدعوة فى دورها الأول فكانت زوجة مخلصة وفية وأم تحسن تربية أولادها ليكونوا فيما بعد عدة للإسلام، فقد ضـربت المثل لجنسها من بنات حـواء فى الجهاد وفى العلم فقـد كانت تحرص على العلم الكثير.

وقد بايعت رسـول الله ﷺ على نصره ووفت بعـهدها من خـلال كفاحـها ونضالها، وكانت نموذجًـا مشرقًا للمرأة التى تعرف حقوقهـا حتى إنها ذهبت يومًا إلى رسـول الله ﷺ، وقـالت: «مـا أرى كل شىء إلا للرجـال ومـا أرى النسـاء يذكرون فى شىء».

فنزل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ... ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

وقد شهدت غزوة أحد مع زوجها وولديها «عبد الله وحبيب» وأخذت تدافع عن رسول الله ﷺ بالسيف وترمى بالقوس، وجرحت اثنى عشر جرحًا ولم تتعب أو تتراخَ حتى تجنب رسول الله ﷺ هجوم الكفار.

---

(1) الزواج وآداب الزفاف - أنور على عاشور - مكتبة القرآن.

(2) نسـيبة بنت كعب (كتاب مدرسى) أولى ثانوى صناعى 1999.

وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر يوم أحد وذكرت (نسيبة) يقول:

«ما التفت يمينًا أو شمالاً إلا ورأيتها تقاتل دوني»

وقد وفت نسيبة بعهدها حتى بعد وفاة رسول الله ﷺ فقد شهدت حرب اليمامة وقاتلت المشركين قتالاً مريراً حتى قطعت يدها، وجرحت أحد عشر جرحًا».

فانظروا إلى هذه الغيرة التى كانت على دين رب العالمين وحبيبه المصطفى، وانظروا هذا الوفاء بالعهد وانظروا هذا الإيمان الصادق.

الباب الثانى

مكانة المرأة فى الإسلام



مكانة المرأة فى الإسلام

إن الإسلام أول من أعطى المرأة حقها وحررها من ظلم العادات والاعتقادات الخاطئة.

فقد ساوى بينها وبين الرجل فى إقامة الحدود، والأجر والثواب.

فقد اعترف الإسلام بالمرأة كإنسانة كاملة عليها واجبات كما أن لها حقوقًا.

وقد اصطفى الله أيضًا المرأة كما اصطفى الرجل، فقد ذكر القرآن الكريم (مريم بنت عمران)، (أم موسى)، وقد ذكر القرآن نساء قد كرمهم الله بتنزيل آيات بأسمائهم مثل (حواء، امرأة فرعون).

وقد ساوى الإسلام أيضًا بين المرأة والرجل فى الأصل الإنسانى. فكل من المرأة والرجل ينسب لأب واحد وأم واحدة.

قال النبى ﷺ[1]: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك السهل والحزم والخبيث والطيب). رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم والبيهقى عن أبى موسى رضى الله عنه.

كما قرر الإسلام للمرأة أهليتها للتدين فقد كان للنساء بيعة خاصة بهن فى الإسلام دون بيعة الرجال وينطوى هذا على إقرار شخصية المرأة وكيانها المستقل من دون تبعية للرجال، ونجد المعنى فى الحديث النبوى - روى البخارى عن النبى ﷺ - قال: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين». صدق رسول الله ﷺ[2].

---

(1) الإساءة إلى المرأة - دكتورة/ هبة محمد على حسن، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.

(2) حديث من كتاب أسماء الله الحسنى لـ أحمد عبد الجواد.

وقد أكرم الإسلام المرأة أيما إكرام، بنتًا كانت أو زوجًا أو أما أو أختًا، وقد ذكر القرآن عددًا من السور التى تتصل بشئون المرأة مثل سورة (يوسف)، (الأحزاب)، (الممتحنة)، (المجادلة)(1).

وأفردت للنساء من القرآن سورتان هما سورة (النساء)، سورة (الطلاق).

كما تحدث القرآن عن المؤمنات اللاتى جئن إلى رسول الله ﷺ مبايعات أو مهاجرات كما بينته سورة (الممتحنة)، وما ذلك إلا لأن للمرأة دورًا مهمًا فى المجتمعات وقد كان للصحابيات أيام رسول الله ﷺ عنايتهن بالعلم والفقه فى دين الله.

فمع عناية النبى ﷺ بالنساء ورغم أنهن يحضرن مشاهد العلم فيشهدن الصلاة معه ويسمعن القرآن والذكر، ويشهد العيد ذوات الخدور يخصن فيه بخطاب خاص إلا أن ذلك لم يكن ليشبع تطلعهن ونهمهن للعلم فيرين أن الرجال فاقوهن فى تحصيل العلم وإدراكه فيتطلعن إلى مجلس خاص منه ﷺ.

- حين رأت حفصة رضى الله عنها الناس فى الحج أحلوا ولم يحل رسول الله ﷺ، تشوقت إلى معرفة الحكم فى كتاب الله تعالى.

أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تحكى عن نفسها أنها أول الناس سألت النبى ﷺ عن معنى آية من كتاب الله تبارك وتعالى.

هذه بعض المواقف التى ذكرت للصحابيات عن تطلعهن وسؤالهن عن العلم فى كتاب الله.

المرأة شقيقة الرجل:

والمرأة المسلمة إنسان كالرجل، وهى شقيقته أمام تعاليم الإسلام كلها،

---

(1) انظر بحوث نساء حول الرسول ﷺ لـ نور الشام محمد أحمد - أجازه الشيخ/ أحمد حسن شلوبة - المعهد العالى للدراسات الإسلامية - الخرطوم.

وكـانت المرأة محـقورة الشـأن عند العـرب، توأد طفلة، وتزدرى كبـيرة، وكـان الأوربيون قديمًا يتساءلون: ألها روح مثل الرجل؟ وكان فى الهند من يحكم بموتها حرقًا عندما يمرض زوجها ويموت فى مرضه!! ما يحبون أن تبقى بعده!!.

وأفلاطون فى مدينتـه يرى شيوع المرأة بين الرجال! حتى جاء الإسـلام فغير هذه الأوضاع والأفكار، واستـخرج المرأة من البيت إلى المسجـد خمس مرات كل يوم، إذا كان ذلك لا ينقص عملها لولدها وزوجها، وتقدير ذلك إليها..!

ولم يمنعهـا من الجهاد إذا قدرت عليـه، وأوجبه عليهـا وعلى الرجال عند الدفاع عن دار الإسلام.

إن شخصـية المرأة ولدت مع مجيء الرسالة الإسلامـية، وقد بلغ من تدليل النبى ﷺ لزوجاته أن حرم على نفسه بعض المبـاحات إرضاء لهن، حتى نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ... ﴿١﴾﴾ [التحريم].

وما كان للمرأة الامتداد فى شخصيـتها من قبل، وإن كان الأمر قد سار فى اتجاه آخر، غلبة للتقاليد القديمة لا انسياقًا مع تعاليم الإسلام[1].

وقد أوصى الله تعـالى بالنسـاء فقد قـال تعالى: ﴿ ... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴿١٩﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء].

وقد أوصى رسول الله ﷺ بالنسـاء فى بعض الأحاديث التى نذكر منها:

1 - عن أبى هريرة رضى الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «استـوصوا بالنســاء خيـرا، فإن المرأة خلقت من ضلع أعـوج، وإن أعوج مـا فى

(1) مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية، محمد الغزالى.

الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته، لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء» متفق عليه.

واستوصوا بالنساء تعنى عاملوهن بمعروف.

2 - وعن عبد الله بن زمعة رضى الله عنه، أنه سمع النبى ﷺ يخطب، وذكر الناقة والذى عقرها، فقال رسول الله ﷺ: ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝١٢﴾ [الشمس] انبعث لها رجل عزيز، عارم منيع فى رهطه» ثم ذكر النساء، فوعظ فيهن، فقال: «يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه» ثم وعظهم فى ضحكهم من الضرطة وقال: «لم يضحك أحدكم مما يفعل؟» متفق عليه.

انبعث: قام من بينهم يقودهم.

عارم: مفسد.

رهطه: جماعته.

3 - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر» أو قال: «غيره» رواه مسلم.

يفرك: يبغض.

4 - وعن عمرو بن الأحوص الجشمى رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ فى حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله تعالى، وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثم قال: «ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع، واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن فى

بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

5 - **وعن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت و لا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت».** حديث حسن رواه أبو داود. وقال: معنى «لا تقبح» أي: لا تقل قبحك الله.

6 - وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم» رواه الترمذى وقال: حديث صحيح.

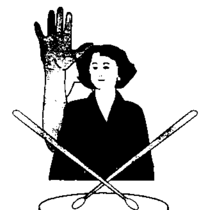
7 - **وعن إياس بن عبد الله بن أبى ذباب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فقال: ذئرن النساء على أزواجهن، فرخص فى ضربهن فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أطاف بآل بيت محمد كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم» رواه أبو داود بإسناد صحيح.**

8 - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» رواه مسلم[1].

(1) انظر كتاب رياض الصالحين للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى، شرح وتحقيق/ سعيد محمد اللحام - دار ومكتبة الهلال.

الباب الثالث

الإسلام والمرأة



الإسلام والمرأة

أتى الإسلام بسماحته حيث أعطى للمرأة الكثير من الحقوق الضائعة ومنها اشتراك المرأة كالرجل فى أحداث الأمة فكن يشاركن فى معارك النصر والهزيمة، وكن يشهدن البيعات الكبرى، وكن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، فكانت المرأة إنسانًا مكتمل الحقوق.

وقد قال الأستاذ موسى سالم:

«الشرع فى حكمة الخالق وعدله هو نصير المرأة ومنصفها ومانحها كل الحقوق التى تقررت للرجل والتى تكفل حرية إرادتها فى علاقتها به وتعاملها معه».

فقد أتى الإسلام بالمساواة العامة فى الإنسانية بين الذكور والإناث فإذا أعطى الرجل حقا أكثر فلقاء واجب أثقل. فقد جاء الإسلام بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

إن من يتدبر منا هذه الكلمات يجدها رابطة وفاق بين الجنسين على مناصرة الحق ومخاصمة الباطل، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، فهى رابطة يتحول بها المجتمع كله إلى خلية ناشطة لها منهج وغاية[1].

إن فى هذه العصور لم يكن هناك رب بيت يصدر أوامره وامرأة ذليلة تنفذ! بل كان هناك شريكان يتقاسمان السراء والضراء! نجاحًا لأمرين متساويين! حياة الدين الذى آمنا به، وحياتهما الخاصة، فالدين المعاملة. هذا الدين الذى أنزله الله ليحرر البشرية من استعباد أفكارهم التى استمرت سنوات الجاهلية، فمن يفهم هذا

---

(1) انظر كتاب قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة للشيخ محمد الغزالى.

الدين حقًا يتعرف فيه على المساواة الحقة بين الرجل والمرأة؟ وليس فى مجرد البيت فقط، بل وكل جوانب الحياة التى يعيشها الإنسان داخل مجتمعه.

فقد أتى الإسلام ليعترف بالإنسان والإنسانية.

ولكى يعترف بحقوق المرأة كإنسان كامل له حقوق وعليه واجبات.

وقد قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل].

ولم ينتقص الإسلام من حقوق المرأة فى الاعتقاد ولا حقها فى المشاركة فى أعمال المجتمع، ولا من حقها فى أن تتعلم وتعلم، وقد كانت الحضارة الإسلامية فى إبان ازدهارها معبرة عن المساواة الحقيقية فى الإسلام بين الرجل والمرأة، وقد أعطانا القرآن الكريم أمثلة تدل على التسوية بين الرجل والمرأة فى العمل والجزاء. والآيات القرآنية التى تمنح الرجل حرية الاختيار وحرية الاعتقاد، هى تكليف عام للرجل والمرأة على السواء، بل إن القرآن الكريم أعطانا مثلا على ذلك على حرية المرأة وتفردها بالاختيار فى شأن العقيدة فى قصة امرأة فرعون فقد اختارت امرأة فرعون الإيمان مع أن رجلها اختار الكفر بل وادعاء الألوهية.

نعم فالمرأة متساوية مع الرجل فى حق الاعتقاد ولا ينفى التسوية بعد ذلك ما يكون من قبيل تقسيم الحقوق والواجبات أو من قبيل مراعاة التفرد الإنسانى بين النساء أو بين الرجال والمرأة بصفة عامة، فإن الحياة لا تستمر ولا يكون فيها خير الرجل والمرأة على السواء إلا مع مراعاة الفوارق(1).

وقد ذكر الإسلام المرأة كأم وزوجة وأخت وذكر القرآن الكريم سورة كاملة باسمها تكريمًا لها، وهى سورة: «النساء».

ولقد وجد فى الشريعة بلا شك تفرقة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات - وهى تفرقة لا تستهدف خلق مبدأ للاستعلاء وإنما تستهدف

(1) انظر كتاب قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة للشيخ محمد الغزالى.

تحقيق أقصى قدر من المنفعة للأسرة بتقسيم الحقوق والواجبات داخل الأسرة.

حيث اشترط الإسلام فى الزواج شروطًا ليصير العقد صحيحا مثل[1]:

1 - اشتراط العشرة بالمعروف، وأن لا يقصر فى حق من حقوقها المشروعة.

2 - اشتراط ما ينافى عقد الزواج كاشتراط ما يخالف أمر الله مثل: عدم الإنفاق عليها، أو لا مهر لها، أو أن تنفق عليه، أو أن يطلق زوجته ليتزوجها، وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل أن تنكح امرأة بأخرى». لتتفرد وحدها به وبموارد رزقه وفى ذلك من الإضرار، وخراب البيوت ما يجلب غضب الله ومقته، وهو شرط يحرم الحلال.

3 - أما الشروط التى تكون لصالح المرأة ولا يترتب على الوفاء بها تحريم الحلال، أو تحليل الحرام، كأن تشترط مواصلة تعليمها فى حدود الفضيلة والآداب الإسلامية، أو أن لا تسافر معه للجهات النائية التى ينتقل إليها إن كان موظفًا، أو أن لا يتزوج عليها، أو غير ذلك فهى شروط يجب الوفاء بها.

وقد بينت تعاليم الرسول كثيرا مما يتعلق بإدارة البيت المسلم، سواء بصورة عامة، أو دخولا فى تفاصيل.

فالمرأة هى راعية البيت، كما أن الحاكم هو راع للمحكومين.

فقد قال عبد الله بن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته[2]: الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله

(1) الزواج وأدب الزفاف، أنور على عاشور.

(2) انظر كتاب تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة (فى اليهودية والمسيحية والإسلام)، لواء أحمد عبد الوهاب.

وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده، ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته» (رواه البخارى).

وفى القاعدة التى قرر القرآن بها المماثلة بين الزوجين فى الحقوق والواجبات قرر على الرجل مسئولية الهيمنة والقوامة، وجعله المكلف بحق المرأة فيما يصل بها إلى الخير ويدفع عنها الشر، فقال: ﴿...وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ... (٢٢٨)﴾ [البقرة]. وهذه الدرجة ليست درجة السلطان ولا درجة القهر، وإنما هى درجة الرياسة البينية الناشئة عن عهد الزوجية وضرورة الاجتماع، هى درجة القوامة التى كلفها الرجل، وهى درجة تزيد فى مسئوليته عن مسئوليتها، فهى ترجع فى شأنها وشأن أبنائها وشأن منزلها إليه، تطالبه بالإنفاق وتطالبه بما ليس فى قدرتها، وما ليس لها من سبيل إليه.

حقوق المرأة فى الإسلام

1 - أهلية المرأة[1]:

شخصية الإنسان أيا كان جنسه تبدأ منذ ولادته، أى من الوقت الذى يتحد جسده مع روحه التى تعطى لهذا الجسد الحياة، وبالتالى تحدد شخصيته القانونية، وثبوت تلك الشخصية للإنسان يجعله صالحا لاكتساب الحقوق وتحمل الواجبات، ويكون أهلا لتوجه خطاب الشارع إليه بالتكاليف الشرعية من الأوامر والنواهى.

وأهلية الإنسان لدى علماء أصول الفقه الإسلامى على نوعين: أهلية وجوب وأهلية أداء.

أهلية الوجوب:

وهى صلاحية المرء لأن تتقرر فى ذمته الواجبات الشرعية فلا تبرأ ذمته حتى يؤدى ما عليه من الواجب أو يؤديه عنه غيره بطريق النيابة الشرعية، والأهلية هى مناط الخطاب التكليفى بالعقائد والعبادات والمعاملات، والمراد من التكليف بالعقائد هى أن يعرف الإنسان حقائق الأشياء على ما هى عليه، والعبادات هى تلك الأعمال التكليفية التى يؤديها الإنسان بجسمه أو بماله أو بهما معًا.

والمرأة والرجل فى أهلية الوجوب شيئان لأن كلا منهما إنسان، وهذا فى العقائد لا استثناء فيه لأنه لا تفاوت بين عقل الرجل وعقل المرأة. فقد سوت الشريعة الحكيمة بين الرجل والمرأة فى التكليف بالعبادات واستثنت المرأة حال تلبسها بالحيض والنفاس فإن الشارع لم يوجه إليها الخطاب بالصلاة وهى فى هاتين الحالتين لا أداء ولا قضاء، وذلك رحمة بها ودفعًا للمشقة عنها، وكذلك لم يوجه إليها الخطاب بصوم رمضان أداء حال تلبسها بحيضها أو نفاسها، ولكنه أمرها

(1) مركز المرأة فى الإسلام، المستشار أحمد خيرت ص 34.

بقضاء صـوم الأيام التى لم تصمها بعد انقـضاء رمضان، وذلك لأن مشقـة قضاء الصوم ليست كمـشقة قضاء الصلاة، إذ الصـوم المفروض لا يكون إلا مرة واحدة فى كل سنة فى شهر رمضان.

فالإسلام يعتبر المرأة مسئولة عن نفسهـا مسئولية خاصة مستقلة عن الرجل، فهى فى القرآن لا يؤثر عليها وهى صالحة فـساد الرجل وطغيانه، ولا ينفعها وهى طالحة صلاح الرجل وتقواه، فإنهـا ذات مسئولية مستقلة فيما يتـعلق بشئونها أمام الله.

أهلية الأداء:

وهى صـلاحيـة الإنسان لأن يؤدى المطلوبات الشـرعيـة بنفسـه، وأن تصح تصرفـاته وتترتب عليها آثارها، وكـذلك تصح أفعاله التى كلف بأدائهـا، ويؤاخذ بأفعاله التى نهى عنها مؤاخذة بدنية.

وهذا الضرب من الأهلية هو الذى تتوقف عليه المعـاملات والتصرفات على كافة أنواعها، قولية كانت أو فعليـة، كما تتوقف عليه بحق، حقوق الله أيضًا من صلاة وصوم وحج وما سـواها، وهى لهذا، إما ناقصة وإما كـاملة، تبعًا لما يكون عليه الإنسان فى أدوار حياته.

2 - حقوق المرأة العامة:

وهذه الحقوق تشتمل على:

(أ) الحقـوق التى تحتويها الولاية العـامة، وهذه تتضـمن الحقوق السيـاسية للمرأة، مثل:

1 - **القضاء**: وقد ذهب أبو حنيـفة وأصحابه إلى جـواز قضاء المرأة فيـما تصح فيه شهادتها، فيصح قضاؤها عندهم فى كل شىء ما عدا الحدود والقصاص.

وذهب ابن جرير الطبرى إلى جواز قضاء المرأة فى كل شىء لا فرق بينها وبين الرجل.

وأيضًا من الحقوق السياسية للمرأة تولى الوظائف العامة، أو حقها فى الانتخاب بأن تكون عضواً فى مجلس الشعب، أو أن تشترك فى انتخاب من يكون عضواً فيه.

وقال الطبرى وابن حزم إن المرأة من حقها تولى الوظائف العامة.

(ب) **الحقوق التى تنظمها الولاية الخاصة**، كالولاية على النفس، والولاية على المال، ونظارة الوقف، والوكالة، والتحكيم.

1 - الولاية على النفس:

وتعرف بالمحافظة على نفس العاجز، والضعيف، وإنجاؤه من المهلك، وهى واجبة لأنه يهلك بدونها.

وقد أجاز أبو حنيفة رضى الله عنه أن تتولى الأم تزويج أولادها الصغار، ومن فى حكمهم عند عدم وجود من هم أولى منها بولاية التزويج.

وكذلك للمرأة أن تباشر عقد الزواج بنفسها.

2 - الولاية على المال:

وهى سلطة التصرف فى المال، وهى نوعان: قاصرة، ومتعدية.

فى الشريعة الإسلامية، ليست الذكورة شرطًا فى الوصى، بل يجوز الإيصاء إلى المرأة كما يجوز الإيصاء إلى الرجل، وقد علل العلماء ذلك بأن المرأة من أهل الشهادة فجاز الإيصاء إليها لما فى كلٍ من معنى الولاية.

وعلى هذا استقر القضاء فى مصر، فقضى بأن أم القاصر أشفق عليه وأرفق به ولديها من الغيرة عليه والعناية بأمره ما لا يتوافر على الوجه الأكمل عند غيرها من ذوى الأرحام، فيجب إذن تعيين الأم وصية على ولدها القاصر دون ذى الرحم

عندما يثبت أن الأم أهل للوصية، وعندها من الكفاءة والاقتدار ما تستطيع معه القيام بهذه المأمورية على ما ينبغى أن يكون.

3 - نظارة الوقف:

منحت الشريعة الإسلامية المرأة الحق فى أن تكون ناظرة على الوقف، تديره كا تدير أموالها العقارية والمنقولة. وقد جعل عمر بن الخطاب الولاية على وقفه لابنته حفصة رضى الله عنهما مدة حياتها، ومن بعدها إلى ذوى الرأى من آل عمر.

4 - الوكالة:

وهى نيابة الإنسان عن غيره فى شئون نفسه حال حياة المنيب باختيار من ذلك الغير والقاعدة أن التوكيل لا يصح إلا ممن يملك التصرف فيما وكل فيه بملك أو ولاية.

وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أنه يصح توكيل المرأة وتوكلها فى الزواج، ويصح توكيلها وتوكلها فى جميع المعاملات المالية والخصومات القضائية، ولا خلاف فى هذا.

5 - التحكيم:

وهو تولية الخصمين حكمًا يحكم بينهما، والتحكيم جائز بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، ويشترط فى المحكم أن يكون صالحا للقضاء، وعلى هذا يصح أن تكون المرأة حكمًا، وهى تكون حكمًا فى كل شىء، ويجوز تحكيمها فى الحدود والقصاص، لا فرق بينها وبين الرجل فى ذلك.

(جـ) حقوق أخرى، كالتعليم، والإفتاء، ورواية الحديث:

1 - التعليم:

من مظاهر تكريم الإسلام للمرأة أنه سوى بينها وبين الرجل والمرأة فى حق

التعليم والتثقيف، وأباح لها أن تحصل على ما تشاء من فروع العلم والحكمة والمعرفة فى مراحلها المتعددة.

وقد كان الإسلام حاسمًا فى وجوب تعليم المرأة كل ما يتصل بأمور دينها ودنياها، كالعقائد والعبادات، ومعرفة الحلال والحرام من المأكول والمشروب وسائر التصرفات.

وقد حث الرسول ﷺ النساء على طلب العلم فقال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». ولم يفرض العلم على المرأة من قبيل تهذيبها وتحليتها كزوجة، بل إن الفقهاء أجازوا لها الانتفاع بهذا العلم فى الشئون العامة فى الحياة.

وقد نافست المرأة الرجل فزاحمته فى ميدان العلم والمعرفة، على عهد رسول الله ﷺ.. يحكى أن النساء اجتمعن يومًا، وقلن للرسول عليه الصلاة والسلام: «غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن».

كما يحكى أن سيدة من بنى عدى - رهط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تدعى «الشفاء» كانت تجيد فن الكتابة فى الجاهلية، وكانت تعلم الفتيات القراءة والكتابة، وقد تابعت حفصة تعليمها على الشفاء بعد زواجها من الرسول ﷺ وكان ذلك بأمر منه عليه الصلاة والسلام.

2 - الإفتاء[1]:

وهو الإخبار بالحكم الشرعى لا على سبيل الإلزام، وبهذا يفرق بين المفتى والقاضى، فالقاضى يلزم بالحكم الشرعى بما له من ولاية الإلزام، والمفتى مخبر فقط بالحكم الشرعى لمن استفتاه، وليس له ولاية إلزام من استفتاه ولا إلزام غيره.

(1) مركز المرأة فى الإسلام، المستشار أحمد خيرت.

ويصح إفتاء المرأة بالإجماع، لأن الإفتاء ليس من باب الولاية فى شىء بل يصح أن يكون المفتى أمةً سوداء خرساء بشرط أن تستطيع الإبانة عن الحكم الشرعى بما يفهمه المستفتى، ولقد امتازت العالمة المسلمة بالصدق فى العلم، والأمانة فى الرواية والحيدة عن مواقع التهم ومساقط الظن مما لم يوفق إليه كثيرون من الرجال.

فهذه السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كانت بالإضافة إلى رواية الحديث من أنفذ الناس رأيا فى أصول الدين ودقائق الكتاب المبين، وكان زعماء الصحابة إذا أشكلت عليهم الفرائض فزعوا إليها فحسرت حجبها وكشفت سحبها.

ولم يكن نفاذ رأيها ورجاحة عقلها وقفًا على الدين وحده، فكذلك كان أمرها فى رواية الشعر والأدب والتاريخ، وكذلك كان نفاذها فى الطب وعلم الكواكب والأنواء والأنساب وما إلى ذلك.

ومن شهيرات المفتيات من أمهات المؤمنين وكرام الصحابيات السيدات الجليلات أم سلمة، وحفصة، وصفية وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأسماء بنت أبى بكر الصديق، وليلى بنت قائف، وأم الدرداء الكبرى وعاتكة بنت زيد، وأم شريك، والحولاء، وغيرهن من كرائم النساء رضوان الله عليهن جميعًا.

3 - رواية الحديث:

وهى نقله عن الرسول ﷺ، أو نقله عمن نقله عن رسول الله ﷺ وهكذا.

واشترط أئمة الحديث فى الراوى أربعة شروط: العقل، والضبط، والعدالة، والإسلام، فإذا توافرت هذه الشروط الأربعة فى إنسان قبلت روايته، ولو كان امرأة.

وإن حديث رسول الله ﷺ منذ عهد عائشة أم المؤمنين حتى عهد الحافظ الذهبى المتوفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وكان ثقة من ثقات المسلمين ومن

عظمائهم فى نقد رجال الحديث، ما حفظ ولا روى بمثل ما حفظ في قلوب النساء وروى على ألسنتهن.

لقد لحق رسول الله ﷺ بربه وعائشة أم المؤمنين لم تخط إلى التاسعة عشرة، على أنها ملأت أرجاء الأرض علمًا.

الزواج

الزواج[1]: نظام إلهى، شرعه الله لعباده منذ خلق آدم وحواء، وهو سنة من سنن الدين، وسبيل دعا إليه الأنبياء والمرسلون، وهو دعامة العمران، ورباط الأمر، وداعية التآلف والتآزر، وطريق الرحمة والمودة والاستقامة، أمر الله به فى كتابه، فقال:

﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ... ﴿٣٢﴾﴾ [النور].

وجعله طريقًا إلى القوة والعزة، والسعادة وبسطة الرزق، وطمأن الخائفين من تكاليفه، الهاربين من تحمل أعبائه بقوله: ﴿... إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور]. وفى الحديث النبوى، الذى رواه الترمذى: «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد فى سبيل الله، والكاتب يريد العفاف»، وكما كان الزواج سنة الحياة، وفطرة الله، فهو العاصم الوحيد من الانحراف.

حكم الزواج[2]:

والزواج واجب شرعًا على كل قادر عليه، جنسيًا وماليًا، وتميل نفسه إليه، ويخاف الوقوع فى الزنا، لأن صيانة النفس وإعفافها عن الحرام واجب، ولا يتم ذلك إلا بالزواج، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولقد روى البخارى ومسلم عن ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء».

(1، 2) انظر كتاب الزواج وآداب الزفاف فى ضوء السنة النبوية المشرقة - تأليف: أنور على عاشور، ص 5، 7.

وقد وصفه الله تعالى بقوله[1]:

﴿ ...وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴿٢١﴾ ﴾ [النساء].

ووصفه النبى ﷺ بقوله: «اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله». رواه مسلم.

وفى تفسير الطبرى عن قتادة فى قوله: ﴿ ...وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴿٢١﴾ ﴾ [النساء]، قال: الميثاق الغليظ الذى أخذه الله للنساء، إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وكان فى عقدة المسلمين عند نكاحهن: «أيم الله عليك، لتمسكن بمعروف أو لتسرحن بإحسان»، وعن مجاهد: ﴿ ...وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴿٢١﴾ ﴾ [النساء]. قال: أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله.. قال جعفر الطبرى: وأولى الأقوال بتأويل ذلك، قول من قال: الميثاق الذى عنى به فى هذه الآية: هو أخذ للمرأة على زوجها عند عقدة النجاح، من عهد على إمساكها بمعروف أو تسريحها بإحسان، فأقر به الرجل لأن الله جل ثناؤه أوصى الرجال فى نسائهم. هذا من حيث مكانة وقيمة هذا الميثاق الغليظ الذى يجمع بين الرجل والمرأة.

أركان النكاح[2]:

يلزم لصحة النكاح توفر أربعة أركان هى: الولى، وهو أبو الزوجة، أو الوصى، أو الأقرب فالأقرب من عصبتها أو ذوى الرأى من أهلها، أو السلطان، لقوله ﷺ: «لا نكاح إلا بولى». أصحاب السنن، وصححه الحاكم وابن حبان.

وقول عمر رضى الله عنه: «لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها، أو ذى الرأى من أهلها، أو السلطان». رواه مالك فى الموطأ بسند صحيح.

---

(1) المرأة المسلمة بين عدل التشريع وواقع التطبيق، أ.د. آمنة محمد نصير.

(2) منهاج المسلم لأبو بكر الجزائرى.

أحكام الولي:

وللولي أحكام تجب مراعاتها وهي:

1 - كونه أهلا للولاية بأن يكون ذكرا بالغًا عاقلاً رشيداً حراً.

2 - أن يستأذن وليته في إنكاحها، ممن أراد تزويجها منه إن كانت بكرًا وكان الولي أبا، ويستأمرها أي يطلب أمرها إن كانت ثيبًا، أو كانت بكرًا، وكان الولي غير أب، لقوله ﷺ: «الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن وإذنها صماتها»، رواه مالك في الموطأ بسند صحيح.

3 - لا تصح ولاية القريب مع وجود من هو أقرب منه، فلا تصح ولاية الأخ لأب مع وجود الشقيق مثلاً، ولا ولاية ابن الأخ مع وجود الأخ.

4 - إذا أذنت المرأة لاثنين من أقربائها في تزويجها، فزوجها كل منهما من رجل، فهي للأول منهما، وإن وقع العقد في وقت واحد بطل نكاحها منهما معًا.

ب - الشاهدان:

المراد بالشاهدين، أن يحضر العقد اثنان فأكثر من الرجال العدول المسلمين. لقوله تعالى: ﴿ ... وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ... ﴿٢﴾ ﴾ [الطلاق]، وقول الرسول ﷺ: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل» رواه الشافعي.

أحكام الشاهدين:

ومن أحكام هذا الركن:

1 - أن يكونا اثنين فأكثر.

2 - أن يكونا عدلين، والعدالة تتحقق باجتناب الكبائر وترك غالب الصغائر.

3 - يستحسن الإكثار من الشهود لقلة العدالة في زماننا هذا.

جـ - صيغة العقد:

صيغة العقد، هي قول الزوج أو وكيله فى العقد: زوجنى ابنتك أو وصيتك فلانة.. وقول الولى: لقد زوجتك أو أنكحتك ابنتى فلانة.. وقول الزوج: قبلت زواجها من نفسى(1).

أحكامها:

ولهذا الركن أحكام منها:

1 - **كفاءة الزوج للزوجة، بأن يكون حراً ذا خلق ودين وأمانة لقوله ﷺ:** «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير» رواه الترمذى.

2 - **تصح الوكالة فى العقد، فللزوج أن يوكل من شاء، أما الزوجة فوليها هو الذى يتولى عقد نكاحها.**

د - المهر:

المهر أو الصداق هو ما تعطاه المرأة لحلية الاستمتاع بها، وهو واجب، بقول الله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ... ﴿٤﴾﴾ [النساء]، وقول الرسول ﷺ: «التمس ولو خاتمًا من حديد»، متفق عليه.

أحكامه:

للمهر أحكام هى:

1 - **يستحب تخفيفه، لقوله ﷺ: «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة»** رواه أحمد والحاكم والبيهقى بسند صحيح.

ولأن صداق بنات رسول الله ﷺ كان أربعمائة درهم أو خمسمائة. وكذا كان صداق أزواجه ﷺ.

(1) منهاج المسلم لأبى بكر جابر الجزائرى.

2 - يسن تسميته في العقد.

3 - يصح بكل منقول مباح تزيد قيمته على ربع دينار، لقوله ﷺ: «التمس ولو خاتمًا من حديد».

الحقوق الخاصة بالزواج

اختيار الزوجة[1]:

الزواج رحلة العمر والزوجة شريكة الحياة وينبغى الاهتمام وبذل الجهد من البداية بأساس البناء ولا يضل ولا يشقى من اتخذ وصايا رسول الله ﷺ رائدًا له فى هذا المجال فإذا أردت الزواج فهذه هى الوصية النبوية: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس». فتخيروا الزوجة الصالحة من البيت المؤمن والأسرة المتدينة.

اختيار الزوج:

كما يختار الرجل شريكة حياته، فكذلك ينبغى للفتاة وولى أمرها أن يختارا الزوج الصالح.

وقد أمر رسول الله ﷺ البنات بالتحرى والتدقيق وبذل الجهد فى اختيار الزوج.

فقال رسول الله ﷺ: «النكاح رق، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته».

عرض البنات على أهل التقى والصلاح:

جميل أن يتخير ولى الأمر لابنته زوجًا صالحًا له دين قويم وخلق كريم.

ومن العجيب أن يستنكف بعض الناس هذا الوضع ويرونه خدشًا للكرامة فهذه قصة سعيد بن المسيب يقول لتلميذه وقد ماتت عنه زوجته: هل تزوجت؟ فيقول: ما عندى ما أتزوج به وما أملك سوى درهمين. فقال له: زوجتك ابنتى على درهمين.

وقد قال رسول الله ﷺ: «إذا جاءكم من ترضانه خلقا ودينا فزوجوه فإن لم تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير».

---

(1) انظر كتاب الزفاف وآداب الزواج - أنور على عاشور.

الكفاءة:

الكفاءة التى رضيها الإسلام:

الدين والأخلاق، قال تعالى:

﴿... إنَّ أَكْرَمَكُمْ عندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

فالمسلم كفء للمسلمة غنيا كان أو فقيراً ولا تشترط المساواة فى المنزلة الدنيوية أو المركز الاجتماعى.

الاستشارة والاستخارة:

إذا تخيرت الزوجة فاستشر فيها المؤمنين الصادقين الذين يخلصون لك النصيحة ومن شاور الناس فقد شاركهم فى عقولهم، فقد استشارت فاطمة بنت قيس رسول الله ﷺ فى نكاح معاوية وأبى جهم فقال لها:

«أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبى جهم فلا يضع عصاه على عاتقه». أى كثير الضرب لنسائه.

النظر إلى المخطوبة:

حرم الله النظرة على الرجال بقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ... ﴿٣٠﴾﴾ [النور].

وعلى النساء لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ... ﴿٣١﴾﴾ [النور].

أى حرمت النظرة على الرجال والنساء فقد قيل الحديث: «النظرة سهم من سهام إبليس فمن تركها خوفًا من الله أعطاه إيمانًا يجد حلاوته فى قلبه».

أما النظرة إلى المخطوبة حللها الله فهى من السنن التى رغب فيها رسول الله ﷺ بقوله: «إذا ألقى الله فى قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها».

الحقوق الخاصة بالزواج

اختيار الزوجة[1]:

الزواج رحلة العمر والزوجة شريكة الحياة وينبغى الاهتمام وبذل الجهد من البداية بأساس البناء ولا يضل ولا يشقى من اتخذ وصايا رسول الله ﷺ رائداً له فى هذا المجال فإذا أردت الزواج فهذه هى الوصية النبوية: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس». فتخيروا الزوجة الصالحة من البيت المؤمن والأسرة المتدينة.

اختيار الزوج:

كما يختار الرجل شريكة حياته، فكذلك ينبغى للفتاة وولى أمرها أن يختارا الزوج الصالح.

وقد أمر رسول الله ﷺ البنات بالتحرى والتدقيق وبذل الجهد فى اختيار الزوج.

فقال رسول الله ﷺ: «النكاح رق، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته».

عرض البنات على أهل التقى والصلاح:

جميل أن يتخير ولى الأمر لابنته زوجًا صالحًا له دين قويم وخلق كريم.

ومن العجيب أن يستنكف بعض الناس هذا الوضع ويرونه خدشًا للكرامة فهذه قصة سعيد بن المسيب يقول لتلميذه وقد ماتت عنه زوجته: هل تزوجت؟ فيقول: ما عندى ما أتزوج به وما أملك سوى درهمين. فقال له: زوجتك ابنتى على درهمين.

وقد قال رسول الله ﷺ: «إذا جاءكم من ترضانه خلقا ودينا فزوجوه فإن لم تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير».

---

(1) انظر كتاب الزفاف وآداب الزواج - أنور على عاشور.

الكفاءة:

الكفاءة التى رضيها الإسلام:

الدين والأخلاق، قال تعالى:

﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

فالمسلم كفء للمسلمة غنيا كان أو فقيرًا ولا تشترط المساواة فى المنزلة الدنيوية أو المركز الاجتماعى.

الاستشارة والاستخارة:

إذا تخيرت الزوجة فاستشر فيها المؤمنين الصادقين الذين يخلصون لك النصيحة ومن شاور الناس فقد شاركهم فى عقولهم، فقد استشارت فاطمة بنت قيس رسول الله ﷺ فى نكاح معاوية وأبى جهم فقال لها:

«أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبى جهم فلا يضع عصاه على عاتقه». أى كثير الضرب لنسائه.

النظر إلى المخطوبة:

حرم الله النظرة على الرجال بقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ... ﴿٣٠﴾﴾ [النور].

وعلى النساء لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ... ﴿٣١﴾﴾ [النور].

أى حرمت النظرة على الرجال والنساء فقد قيل الحديث: «النظرة سهم من سهام إبليس فمن تركها خوفًا من الله أعطاه إيمانًا يجد حلاوته فى قلبه».

أما النظرة إلى المخطوبة حللها الله فهى من السنن التى رغب فيها رسول الله ﷺ بقوله: «إذا ألقى الله فى قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها».

فلا بأس من النظر إلى وجهها فـالوجه دليل الجمال، وذلك أدعى إلى دوام الألفة بعد الزواج.

استشارتها:

استشارة الفتاة فيـمن جاء يخطبها حق قرره لها رسول الله ﷺ وذلك أدعى لهنائها ودوام الألفة بينهما. ولقد كانت المرأة فى الجاهلية وضيعة الشأن لا رأى لها ولا إرادة وكان لوليها أن يزوجها من يشاء أو يحرمها من الزواج طوال حياتها فجاء الإسلام وفك عنهـا قيود العـبودية وقرر أن المـرأة إنسان كامل فـلا حق لأحد فى إكراهها على ما لا تحب.

المساواة فى الإسلام

قد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل فى كثير من الأحكام الشرعية، بل فى جميع الأحكام الشرعية، وذلك فى القرآن الكريم حيث أنزل تعالى سورة النور التى اشتملت على أحكام تخص المرأة والرجل والأسرة، التى هى نواة المجتمع الأكبر، ووضحت الآداب الاجتماعية التى يجب أن يتمسك بها المؤمنون والمؤمنات من: غض البصر، وحفظ الفروج، وحرمة الاختلاط.

وذكرت ما ينبغى أن تكون عليه (المؤمنة، المؤمن، الأسرة المؤمنة) من العفاف والستر، والطهارة والنزاهة، صيانة للأسرة، وحفاظا عليها من عوامل التفكك، والانهيار الخلقى.

وقد ذُكرت فى هذه السورة بعض الحدود الشرعية كحد الزنى، وحد القذف، وأحكام اللعان.. وأغلب الحدود والأحكام التى تخص المرأة، وكل هذه الحدود إنما شرعت تطهيرًا للمجتمع من الفساد والفوضى، والتحلل الخلقى وحفاظًا للأمة من عوامل التردى فى بؤرة الإباحية، والفجوز، والدعارة، والمجون، التى تسبب ضياع الأنساب وذهاب العرض والشرف.. وباختصار فإن هذه السورة قد عالجت ناحية من أخطر النواحى هى (ناحية الأسرة) وما يحفها من مخاطر وبخاصة فى أمر العرض والشرف، وما يستتبع ذلك من إشاعة الفاحشة بين الناس.

قال القرطبى: مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر.

وكتب عمر رضى الله عنه إلى أهل الكوفة: علموا نساءكم سورة النور.

وقالت عائشة رضى الله عنها: لا تنزلوا النساء الغرف، وعلموهن سورة النور والغزل.

قال الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور].

الأحكام الشرعية:

الحكم الأول: كيف كانت عقوبة الزنى فى صدر الإسلام؟

وعقوبة الزنى هى (الجلد) للبكر و(الرجم) للزانى المحصن. وانتهى ذلك الحكم المؤقت إلى تلك العقوبة الرادعة الزاجرة.

روى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال: (كان نبى الله ﷺ إذا أنزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه، فأنزل الله عليه ذات يوم فلقى كذلك فلما سرى عنه قال: خذوا عنى، خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم».

الحكم الثانى: ما هو حد البكر، وحد المحصن؟

فرقت الشريعة الإسلامية بين حد البكر (غير المتزوج) وحد المحصن (المتزوج) فخففت العقوبة فى الأول فجعلتها مائة جلدة، وغلظت العقوبة فى الثانى فجعلتها الرجم بالحجارة حتى الموت، وذلك لأن جريمة الزانى بعد الإحصان (التزوج) أشد وأغلظ من الزنى المحض فى نظر الإسلام، فالجريمة التى يرتكبها رجل محصن من (امرأة محصنة) عن طريق الفاحشة أشنع وأقبح من الجريمة التى يرتكبها مع البكر لأنه قد أفسد نسب غيره ودنس فراشه وسلك لقضاء شهوته طريقًا غير مشروع مع أنه كان متمكنًا من قضائها بطريق مشروع فكانت العقوبة أشد وأغلظ.

الحكم الثالث: هل يجمع بين الرجم والجلد؟

ذهب أهل الظاهر إلى وجوب (الجلد والرجم) في حق الزاني المحصن وهي إحدى الروايات عن الإمام أحمد رحمه الله.

وذهب الجمهور إلى أن حده (الرجم) فقط وهو مذهب جمهور الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار والرواية الأخرى عن أحمد.

الحكم الرابع: هل ينفى الزاني ويغرب عن بلده؟

يرى الإمام أبو حنيفة أن حد الزاني البكر هو الجلد مائة جلدة وأن النفي ليس من الحد في شيء وأنه مفوض إلى رأي الإمام إن شاء غرب وإن شاء ترك.

ويرى الجمهور مالك والشافعي وأحمد أن حده الجلة مائة جلدة وتغريب عام.

هل التغريب يشمل المرأة؟

ذهب مالك والأوزاعي إلى أن النفي خاص بالرجل ولا تنفى المرأة.

وقال الشافعي وأحمد: إن النفي عام للرجال والنساء فتغرب المرأة مع محرم.

الحكم الخامس: ما هو حد الذمي المحصن؟

اختلف العلماء في حد الذمي المحصن فذهب الحنفية إلى أن حده (الجلد) وذهب الشافعية والحنابلة إلى أن حده الرجم.

الحكم السادس: من الذي يتولى إقامة الحدود؟

الظاهر في قوله تعالى: ﴿فاجلدوا﴾ أنه خطاب موجه (لأولي الأمر) من الحكام لأن فيه مصلحة للمجتمع وذلك بدرء الفساد، واستصلاح العباد وكل ما كان من قبيل المصلحة العامة، فإنما يكون تنفيذه على الإمام أو من ينيبه من القضاة أو الولاة أو غيرهم.

وقد اتفق العلمـاء على أن الذى يقيم الحدود على الأحـرار إنما هو الإمام أو نائبه.

يعتـبر الزنى فى نظر الإسلام جـريمة من أشنع الجرائـم، ومنكراً من أخبث المنكرات.

ولقد ساوى الرجل بالمرأة فى العقاب الذى لا يصح فـيه شفاعة، ولم يفرق بين الرجل والمرأة فى أى من العقابين أو الحكمين البكر والمحصن.

وإنما كانت العقوبة شـديدة وصارمة لكل من الطرفين الرجل والمرأة، وذلك لأن فى هذه الجريمة هدراً للكرامة الإنسانية، وتصديعًـا لبنيان المجتمع، وفيه أيضًا تعريض النـسل للخطـر، حيث يكثر (اللقطاء) وأولاد البـغاء، ولا يكون هناك من يتعهدهم ويربيهم وينشئهم النشأة الصالحة!!.

وبذلك فـقط ساوى الإسـلام بين الرجل والمرأة فى العـمل الصالح وبنيـان المجـتمع والخطأ وعـقوبة الأخطـاء والأحكام الشرعـية التى بـنى عليهـا المجتـمع الإسلامى(1).

---

(1) انظر روائع البيـان تفسيرات الأحـكام من القرآن (تفسيـر سورة النور) بقلم محـمد على الصابونى.

قذف المحصنات من الكبائر

قال الله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [النور].

يخبر الله جل ثناؤه بأن الذين ينتهكون حرمات المؤمنين، فيرمون العفائف الشريفات الطاهرات بالفاحشة، ويتهمونهن بأقدس وأثمن شيء لدى الإنسان ألا وهو (العرض والشرف) فينسبونهن إلى الزنى، ثم لم يأتوا على دعواهم بأربعة شهداء عدول، يشهدون عليهن بما نسبوا إليهن من الفاحشة فاجلدوا الذين رموهن بذلك (ثمانين) جلدة، لأنهم فسقة كذبة يتهمون الأبرياء ويحبون إشاعة الفاحشة.

وزيدوا لهم فى العقوبة بإهدار كرامتهم الإنسانية، فلا تقبلوا شهادة أى واحد منهم ما دام مصرًا على بهتانه وأولئك عند الله من أسوأ الناس منزلة وأشدهم عذابا، لأنهم فساق خارجون عن طاعة الله عز وجل(1).

ويعتبر القذف من الجرائم الشنيعة التى حاربها الإسلام حربًا لا هوادة فيها، فإن اتهام البريئين والوقوع فى أعراض الناس، والخوض فى (المحصنات الحرائر) العفيفات، يجعل المجال فسيحًا لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئًا بتلك التهمة النكراء، فتصبح أعراض الأمة مجرحة وسمعتها ملوثة وإذا كل فرد منها متهم أو مهدد بالاتهام، وإذا كل زوج فيها شاك فى زوجه وأهله وولده.

وقد عوقب الذين يقذفون بعدة عقوبات، العقوبة الأولى (جسدية) تنال

---

(1) روائع البيان تفسيرات الأحكام من القرآن (تفسير سورة النور) بقلم محمد على الصابونى.

البدن والجسد، والثانية (أدبية) تتعلق بالناحية المعنوية بإهدار كرامته وإسقاط اعتباره، فكأنه ليس بإنسان لأنه لا يوثق بكلامه ولا يقبل قوله عند الناس، والثالثة (دينية) حيث إنه فاسق خارج عن طاعة الله، وكفى بذلك عقوبة لذوى النفوس المريضة، والضمائر الميتة.

وقد اعتبر الإسلام (قذف المحصنات) من الكبائر الموجبة لسخط الله وعذابه، وأوعد المرتكبين لهذا المنكر بالعذاب الشديد فى الدنيا والآخرة، فقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور]، وجعل الولوغ فى أعراض الناس ضربًا من (إشاعة الفاحشة) يستحق فاعله العذاب الشديد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ... ﴿١٩﴾﴾ [النور]، وقد عدها عليه الصلاة والسلام من الكبائر المهلكات فقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

وغرض الإسلام من هذه العقوبة صيانة الأعراض، وحفظ كرامة الأمة، وتطهير المجتمع من مقالة السوء لتظل (الأسرة المسلمة) موفورة الكرامة، مصونة الجانب، بعيدة عن ألسنة السفهاء، وبهتان المعرضين.

حكم القذف:

القذف كبيرة من الكبائر، فسّق الله فاعله، وأسقط عدالته، وأوجب عليه الحد.

شروط إقامة حد القذف:

يشترط فى إقامة الحد على القاذف توفر ما يلى:

1 - أن يكون القاذف مسلمًا عاقلاً بالغاً.

2 – أن يكون المقذوف عفيفًا غير معروف بين الناس بالفاحشة.

3 – أن يطالب المقذوف بإقامة الحد عليه، إذ هو حق له إن شاء استوفاه وإن شاء عفا عنه.

4 – أن لا يأتي القاذف بأربعة شهود يشهدون، على صحة ما رمى به المقذوف شرط من هذه فلا حد.

الباب الرابع

الأسرة



الأسرة وأهميتها فى الإسلام

الأسرة فى الإسلام هى أهم دعامة من دعائم المجتمع لأنها تكون الحلقة الأولى من حلقات بنائه ولا يوجد التلاحم والتشابك بين أفراد المجتمع إلا إذا تلاحمت حلقاته من الأسر على أسس منهجية قويمة، وبالتالى تسير الحياة الإنسانية فى مسارها الصحيح الذى يضمن لها الأمن والراحة والهدوء والاستقرار[1].

ومن هنا كانت نظرة الإسلام إلى الأسرة نظرة دقيقة فاحصة تتناولها فى طريق وجودها وتؤصل العلائق بين طرفيها وتتبنى الرعاية الكاملة لثمراتها وتنظم الحياة المستقرة الهانئة لأفرادها.

ولذلك كانت العناية بتكوين الأسرة وتقويتها من أهم ما يجب على المسلمين رعايته، والأخذ فى الأسباب إليه، ولا يكون ذلك إلا إذا روعيت المبادئ القويمة والأسس الكريمة التى يشاد عليها صرح الأسرة وتضمن بقاءها ونموها قوية مثمرة.

والأسرة من آيات الله، قرن تكوينها بتكوين العالم أجمع[1].

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ... (٢١)﴾ [الروم].

وفى الفقه الإسلامى كلام طويل عن نظامها المادى، وعن رسالتها الأدبية.

وهناك كلام عن عقد الزواج، وتبادل الواجبات، وحضانة الأولاد، وأسلوب النفقة، وآداب العشرة.. وطريقة حل العقد إذا تعذر بقاؤه، وأنصبة المواريث.. إلخ.

(1) موقف الإسلام من تنظيم الأسرة، وزارة الأوقاف، وزارة الإعلام - الهيئة العامة للاستعلامات.

(2) مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية، محمد الغزالى.

وهناك كلام عن الآثار الروحية والخلقية المربوطة بوجود الأسرة، وكيف أن الأسرة امتداد للنوع الإنسانى، وللعقائد والعبادات والأخلاق التى أمر الإسلام بها وقام عليها.

وحماية للأسرة حرم الإسلام الاختلاط الحيوانى المعروف فى بيئات شتى، وحرم كل ما يخدش العرض والحياء، إن الأسرة المحاطة فى ديننا بهالة من الشرف والقداسة، لا توجد فى بلاد أخرى.

والمجتمع فى الإسلام أسرة كبيرة تقوم على التعارف والتواد، والناس على صعيد الأرض سواسية، ولاؤهم لله لا لجنس ولا تربة، أكرمهم عند الله أتقاهم.

أساس المعاملة: «وليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه».

الافتخار بالنسب مردود، والاستكثار بالعزوة مرفوض، والامتياز والسبق لمن تقدمه كفايته، لا عراقته، ولا وجاهته. ومن هنا قاد الموالى العالم الإسلامى، وتصدوا فى ميادين الفتوى، والفقه، والأدب واللغة، وسبقوا العرب أصحاب الرسالة الأوائل، ثم تصدروا فى ميادين السياسة والحكم، وقامت دول للمماليك وشتى الأجناس، كان لها أبعد الأثر فى خدمة الإسلام.

الأسرة

إن الأسرة هى نواة المجتمع فهى المرحلة الأولى التى ينشأ فيها الطفل، هى الصداقة، والقدوة، والعلاج، والتوعية. ولكن فى هذا العصر ووسط تلك المتغيرات التى نمر بها قد تجمعت الأسباب معًا فقد تكون الأسرة هى الدافع الأول للشباب من خلال بعض الانطباعات التى تفتح لهؤلاء الشباب الباب على مصراعيه للتعرف على أصدقاء السوء الذين يصلون بهم إلى الطريق المغلق ويكون السبب وراء ذلك بعض الانطباعات:

1 - عدم التدليل والتوازن بين الأبناء فى التدليل أو القسوة مما يؤدى إلى تكدس الأحزان والهموم.

2 - التمييز والمقارنة بين الأبناء بعضهم عن بعض فقد يؤدى ذلك إلى إحباط أحد الأبناء فيجعله يبحث عمن يفهمه أو شىء يتفوق فيه.

3 - فشل الأسرة وتشرد الأبناء، وغياب القدوة.

4 - الإهمال وعدم متابعة الأبناء ومعرفة سلوكهم.

5 - بحث الآباء والأمهات عن الكسب المادى البحت وترك الأبناء دون الرعاية اللازمة.

ولذا التقى الاعتباران: (حق الأمة) و(حق الفطرة) فى ضرورة العمل على إيجاد النسل[1].

إن الإسلام لا تعجبه الكثرة الهزيلة، ولا يقيم لارتفاع نسبتها فى التعداد وزنًا، ولا يتخذ منها النبى الكريم ﷺ مبعثًا للمباهاة بها.

---

(1) انظر موقف الإسلام من تنظيم الأسرة - وزارة الأوقاف، وزارة الإعلام - الهيئة العامة للاستعلامات.

فإن الإسلام يمقت هذه الكثرة ويحقرها.

يشير إلى هذا ما صح فى دلائل النبوة عن النبى ﷺ: «توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل: أومن قلة نحن يومئذ؟ قال: لا بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن. قال قائل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» رواه أبو داود.

إن هذا الحديث يشير إلى أن الكثرة التى تملكها عوامل الضعف كثرة لا خير فيها.. وكما تكون عوامل الضعف من الجانب الخلقى تكون أيضًا فى الجانب الخُلُقى.. والوهن كما يبعثه الجبن والبخل يبعثه أيضًا ضعف البدن، ولذا.. فلا خير فى أمة ذبل أبناؤها، كما لا خير فى أمة حرمت فضيلة الشجاعة وحرمت فضيلة البذل والسخاء.

وقد توصل الإسلام إلى هذه الغاية فحث على الصحة على وجه العموم، وعلى أساس القواعد العامة، والأصول الكلية والمقررات الشرعية التى يتحتم السير على مقتضاها حفظًا لحياة الفرد وإبقاء على حياة الجماعة.

أما المرأة فهى ركن أساسى من أركان الأسرة والحياة، وقد حث الإسلام على العناية بها، وكان آخر ما قاله النبى ﷺ قبل وفاته: «استوصوا بالنساء خيرًا». وعلى مر التاريخ كان للمرأة المسلمة دور رائد فى كل المجالات: العلمية، والدينية، والاجتماعية، وغيرها، لكن بين الحين والحين تتعرض المرأة لمحاولة إقصائها وتغريبها[1].

فكان لزامًا على المجتمع الإسلامى إبراز ما يمكن أن يعيد بناء شخصية المرأة وتنشئتها فى صورة إسلامية متميزة شاملة، وتوضيح ما يخصها فى كل

---

(1) رياض الصالحات، قطوف تربوية من بستان النبوة - جمعه وعلق عليه: بدوى محمود الشيخ.

النواحى: التربوية، والسياسية، والصحية، والاجتماعية، والنفسية، والجسمية، والأسرية.

وهنا نذكر مربيات فى الإسلام حفظ لنا التاريخ أسماءهن وجعلهن ذوات مكانة عالية.

مثال: بركة «أم أيمن» مولاة وحاضنة رسول الله ﷺ، حليمة السعدية، مرضع النبى ﷺ، أسماء بنت أبى بكر.

مربيات فى الإسلام

بركة «أم أيمن» مولاة وحاضنة رسول الله ﷺ[1]

وهى أم أيمن، اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن عمرو بن النعمان، وكان يقال لها: أم الظباء.

قال ابن خيثمة: اسمها بركة، وكانت لأم رسول الله ﷺ.

وكانت أم أيمن تحضنه ويسميها «أمي».

وكان رسول الله ﷺ متعلق بأم أيمن وكان يكرمها ويهش للقائها، وكان يقول (يا أمه) وكان إذا نظر إليها قال: (هذه بقية أهل بيتى)، وقد أسلمت وحسن إسلامها.

وكانت أم أيمن تلاطف رسول الله ﷺ وكان هو كذلك يلاطفها ويمازحها، ولكنه لا يقول إلا الحق.

قالت له يومًا: احملنى يا رسول الله. «تطلب منه دابة».

فقال لها: (أحملك على ولد الناقة).

فقالت: يا رسول الله، إنه لا يطيقنى ولا أريده.

فقال: (لا أحملك إلا على ولد ناقة).

فكان ﷺ يمازحها ولكنه فى نفس الوقت لا يقول إلا حقا.

ومن جميل ما ورد عنها أنها قالت: بات رسول الله ﷺ فى البيت، فقام فى الليل فبال فى فخارة، فقمت وأنا عطشى لم أشعر ما فى الفخارة فشربت ما

---

(1) انظر كتاب نساء حول الرسول - تأليف السيد الجميلى.

فيـها، والذى بعثك بالحق شـربت ما فيهـا. فضحك رسـول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: (أما إنه لا يتجعن بطنك بعده أبدًا).

وكانت أم أيمن مثلاً أعلى فى التضحية وطرازًا فريدًا فى الجهاد والكفاح فى سبيل الله.

لقد حـجت بركة ماشـية على قدميـها، وقد هاجـرت كذلك من مكة إلى المدينة سيراً على الأقـدام، ولئن كان هذا الأمر يعيا به الرجال فمـا بالنا بامرأة كأم أيمن.

ولم تقف بركـــة مكتـوفـة الأيدى، لكنهـا شـاركـت رسـول الله ﷺ فى الغزوات، إذ كانت تداوى الجرحى والمرضى والمصابين، وتعد الطعام للمقاتلين.

وذكر ابن سعد وغيره أن أم أيمن حضرت أُحدًا وكانت تسقى الماء، وتداوى الجرحى، كما شهدت خيبر مع رسول الله ﷺ.

وكان حزن «بركـة» على وفاة رسول الله ﷺ بالغـًا وشديداً، وقد ورد عن أنس رضى الله عنه أن أم أيمن بكت حين مات النبى ﷺ، قيل لها: أتبكين؟.

فقالت: أى والله، لقد علمت أن رسـول الله ﷺ سيموت ولكنى إنما أبكى على الوحى إذا انقطع عنا من السماء.

حليمة السعدية .. مرضع النبى ﷺ[1]

هى حليمـة السعدية بنت أبى ذؤيب، واسـمه عبد الله بن الحـارث وكانت حليمة تحت الحـارث بن عبد العزى، واسم ابنهـا الذى شرب رسول الله ﷺ من لبنه - عبد الله بن الحارث واسم أختيه أنيسة والشيماء بنتا الحارث.

قدم مكة عشر نسوة من سعد بن بكر يطلبن الرضاع فأصبحن الرضاع كلهن إلا حليمـة السعدية، وكـان معهـا زوجها الحـارث بن عبد العـزى وكان يكنى أبا ذؤيب، وكانت ابنتهـا الشيماء (حذافة بنت الحـارث) وهى التى تحضن رسول الله ﷺ مع أمها.

عرض على حـليمة رسـول الله ﷺ، فجـعلت تقول: يتـيم ولا مال له؟؟ وماذا عسـت أمه أن تفعل؟ فخـرج النسوة وخلفنها. فقـالت حليمة لزوجـها: ما ترى؟ قد خرج صـواحبى، وليس بمكة غلام يسترضع إلا هذا الغـلام اليتيم، فلو أخذناه، فإنى أكره أن نرجع إلى بلادنا ولم نأخذ شيئًـا. فقال لها زوجها: خذيه، عسى الله أن يجعل لنا فيه خيراً.

فجاءت أمه، فأخـذته منها، فوضعته فى حجرها، فـأقبل عليه ثدياها حتى يقطرا لبنا، فـشرب رسـول الله ﷺ وشـرب أخوه، ولقـد كان أخـوه لا ينام من الجوع.

وقالت أمه: يا ظئر، سلى عن ابنك فإنه سيكون له شأن، وأخبرتها ما رأت وما قيل لها فيه حين ولدته، وقالت: قيل لى ثلاث ليال: استرضعى ابنك فى بنى سعد بن بكر، ثم فى آل أبى ذؤيب.

قالت حليمة: فـإن أبا هذا الغلام الذى فى حجرى أبو ذؤيب وهو زوجى. فطابت نفس حليمة، وسرت بكل ما سمـعت ثم خرجت به إلى منزلها، فحدجوا

(1) انظر كتاب نساء حول الرسول - تأليف السيد الجميلى.

فيها، والذى بعثك بالحق شربت ما فيها. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: (أما إنه لا يتجعن بطنك بعده أبدًا).

وكانت أم أيمن مثلاً أعلى فى التضحية وطرازًا فريدًا فى الجهاد والكفاح فى سبيل الله.

لقد حجت بركة ماشية على قدميها، وقد هاجرت كذلك من مكة إلى المدينة سيرًا على الأقدام، ولئن كان هذا الأمر يعيا به الرجال فما بالنا بامرأة كأم أيمن.

ولم تقف بركة مكتوفة الأيدى، لكنها شاركت رسول الله ﷺ فى الغزوات، إذ كانت تداوى الجرحى والمرضى والمصابين، وتعد الطعام للمقاتلين.

وذكر ابن سعد وغيره أن أم أيمن حضرت أُحدًا وكانت تسقى الماء، وتداوى الجرحى، كما شهدت خيبر مع رسول الله ﷺ.

وكان حزن «بركة» على وفاة رسول الله ﷺ بالغًا وشديدًا، وقد ورد عن أنس رضى الله عنه أن أم أيمن بكت حين مات النبى ﷺ، قيل لها: أتبكين؟.

فقالت: أى والله، لقد علمت أن رسول الله ﷺ سيموت ولكنى إنما أبكى على الوحى إذا انقطع عنا من السماء.

حليمة السعدية .. مرضع النبى ﷺ[1]

هى حليمة السعدية بنت أبى ذؤيب، واسمه عبد الله بن الحارث وكانت حليمة تحت الحارث بن عبد العزى، واسم ابنها الذى شرب رسول الله ﷺ من لبنه - عبد الله بن الحارث واسم أختيه أنيسة والشيماء بنتا الحارث.

قدم مكة عشر نسوة من سعد بن بكر يطلبن الرضاع فأصبحن الرضاع كلهن إلا حليمة السعدية، وكان معها زوجها الحارث بن عبد العزى وكان يكنى أبا ذؤيب، وكانت ابنتها الشيماء (حذافة بنت الحارث) وهى التى تحضن رسول الله ﷺ مع أمها.

عرض على حليمة رسول الله ﷺ، فجعلت تقول: يتيم ولا مال له؟؟ وماذا عست أمه أن تفعل؟ فخرج النسوة وخلفنها. فقالت حليمة لزوجها: ما ترى؟ قد خرج صواحبى، وليس بمكة غلام يسترضع إلا هذا الغلام اليتيم، فلو أخذناه، فإنى أكره أن نرجع إلى بلادنا ولم نأخذ شيئًا. فقال لها زوجها: خذيه، عسى الله أن يجعل لنا فيه خيراً.

فجاءت أمه، فأخذته منها، فوضعته فى حجرها، فأقبل عليه ثدياها حتى يقطرا لبنا، فشرب رسول الله ﷺ وشرب أخوه، ولقد كان أخوه لا ينام من الجوع.

وقالت أمه: يا ظئر، سلى عن ابنك فإنه سيكون له شأن، وأخبرتها ما رأت وما قيل لها فيه حين ولدته، وقالت: قيل لى ثلاث ليال: استرضعى ابنك فى بنى سعد بن بكر، ثم فى آل أبى ذؤيب.

قالت حليمة: فإن أبا هذا الغلام الذى فى حجرى أبو ذؤيب وهو زوجى. فطابت نفس حليمة، وسرت بكل ما سمعت ثم خرجت به إلى منزلها، فحدجوا

(1) انظر كتاب نساء حول الرسول - تأليف السيد الجميلى.

أتانهم (أى شدوا عليها) فركبتها حليمة، وحملت رسول الله ﷺ بين يديها، وركب الحارث شارفهم (ناقتهم المسنة) فطلعا على صواحبها بوادى السور وهن مرتفعات، وهما يتواهقان (أى يتباريان).

فقلن (أى صواحب حليمة): يا حليمة، ما صنعت؟ قالت: أخذت والله خير مولود رأيته قط، وأعظمهم بركة.

قال النسوة: أهو ابن عبد المطلب؟ قالت: نعم. قالت حليمة: فما رحلنا من منزلنا ذلك حتى رأيت الحسد من بعض نسائنا.

ومكث النبى ﷺ فى بادية بنى سعد بن بكر مع حليمة السعدية سنتين حتى فطم، وكان عندئذ ابن أربع سنين فقدموا على أمه زائرين لها، وأخبرتها حليمة خبره، وما رأوه من بركته.

فقالت آمنة: ارجعى بابنى، فإنى أخاف عليه وباء مكة، فوالله ليكونن له شأن.. فرجعت به حليمة.

ولما بلغ من السنوات أربعًا كان يروح ويغدو مع أخيه وأخته من الرضاع قريبًا من الحى فى البهم.

وظل رسول الله ﷺ حتى بلغ خمس سنوات وكانت حليمة شديدة الحرص على محمد ﷺ والتعهد له إذ كانت لا تدعه يذهب إلى مكان بعيد وكان رسول الله ﷺ متعلقًا بالسيدة حليمة حيث إنها عندما وفدت إليه بعد زواجه من خديجة، أحسن استقبالها وقدم إليها وبسط لها رداءه، وأجلسها عليه، وهتفت بها أمى أمى.

اسماء بنت أبى بكر

ذات النطاقين

هى أسماء بنت أبى بكر الصديق، والدة عبد الله بن الزبير التيمية وأمها قتلة «أو قتيلة» بنت عبد العزى قرشية من بنى عامر بن لؤى، من أكابر الصحابة.

أسلمت أسماء بعد سبعة عشر نفسًا، فكانت لذلك من السابقين الأولين.

تزوجت أسماء بنت أبى بكر من الزبير بن العوام وأنجبت منه ابنه عبد الله ابن الزبير. وكانت أسماء زوجة وفية أحبها زوجها كثيرًا حيث وقفت معه فى السراء والضراء.

حيث عانت أسماء مع الزبير ظلف العيش والفقر، ثم أراد الله تعالى أن يسرى عنهما ويفرج كربهما، فزاد المال وكثر وصارا من الأغنياء الموسورين.

ولم يبطرها المال والغنى، ولم تنس ما كانت عليه قبل ذلك بل زادها خشية وخضوعا حيث كانت من آيات الله فى السخاء والرم.

وكانت أسماء ربة منزل صادقة فى عهدها مع الإسلام حيث ربت عبد الله بن الزبير على الفضيلة.

وقد امتحنت أسماء فى إيمانها امتحانًا عصيبًا حيث دخل عليها ابنها يستشيرها ويأخذ رأيها وكانت فى ذلك الوقت عجوزًا مكفوفة قد قاربت المائة عام من عمرها.

فلقد حوصرت مكة بقوات كثيفة للمجرم السفاح الحجاج بن يوسف الثقفى، وصار من عبد الله قاب قوسين أو أدنى، أطبقت عليه شعوب، فإنه، هالك لا محالة، وقد خذله الناس أجمعون حتى الأهل والأولاد، حتى لم يبق معه إلا اليسير الذى لا يستطيع الثبات والصبر أكثر من ساعة.

فانطلقت أسماء فى قوة وصلابة وعمق ويقين.

قالت لابنها: أنت والله أعلم بنفسك يا بنى، إن كنت تعلم أنك على الحق وإليه تدعو، فامض له، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بنى أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك، وأهلكت من معك.

ثم قال عبد الله لأمه: هذا والله رأيى يا أماه، ولكن أخاف إن قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى، فأجابته: يا بنى، إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها، فامض على بصيرتك، واستعن بالله.

ولما دنت منه لتودعه وتضمه إلى صدرها، وتعانقه، وقعت يدها على درعه، فقالت: ما هذا يا عبد الله صنع من يريد ما تريد!!

نزع عبد الله درعه وانفلت للقتال بعزم وتصميم، وظل ينبرى ويكر كرور الأبطال المغاوير، والفرسان الكماة حتى لقى مصرعه وسقط شهيداً، فأمر الحجاج بصلب جثمانه.

ثم دخل الحجاج على أسماء وقال لها: يا أمه، إن أمير المؤمنين أوصانى بك، فهل لك من حاجة؟

قالت: لست لك بأم، ولكنى أم المصلوب على رأس الثنية، وما لى من حاجة، ولكن أحدثك: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(يخرج من ثقيف كذاب ومبير، فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فأنت).

مواقف فى حياة أسماء:

* كان الزبير شديداً على أسماء، فأتت أباها تشكو إليه ذلك.

فقال: يا بنية، اصبرى فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تزوج بعده، جمع بينهما فى الجنة.

كانت تقول لبناتها وأهلها: أنفقوا أو أنفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن تنتظرن الفضل لم تفضلن شيئًا، وإن تصدقتن لم تجدن فقده.

الباب الخامس

سماحة الإسلام



سماحة الإسلام

يقتضى التعريف بالإسلام أن يكون شاملا لمضمونه كله وما قدمه للبشرية من عقيدة تتـوجه إلى قلب الإنسان وفكره ونفسه، ومنهج أخلاقى كـامل يضمن ثبات القيم الرفيعة لبنى الإنسان.

وفى هذا العصـر الذى نعيش فيـه، يموج العالم بمذاهب إنسـانية ونظريات وضعـية تحاول أن تضع الأصول السليـمة لمجتمـع إنسانى قادر على البقـاء والنمو والتقدم.

ولعلنا إذا نظرنا إلى المجتـمع الإسلامى فى نشأته الأولى وجـدنا أن أهم ما كان يميزه أصول ومبادئ عامة توفرت فيه وكانت أعمدة قوية لبنائه وبقائه وتقدمه، وأهم هذه المبادئ والأصول: كرامة الإنسان وحريته والتسوية بين الناس، والشورى والتكامل الاجتـماعى، والوسطية الإسـلامية، وأصل الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر(1).

فإذا فـقدت أو أهملـت هذه الأصول اختـل نظام المجتـمع وأصبح مـهدداً بالضعف والانهـيار. فالمجـتمع الإسلامى لا يسـتطيع أن يعيش بعيـداً عن الهدى الإلهى الذى وضع هذه الأصول منهاجًا لحياة المجتمع وتقدمه.

وهذا المنهج الشـامل والكامل لحيـاة الإنسان فى المجتـمع يقدمـه الإسلام. فالمجتـمع الإسلامى لا غنى له عن أصول فرضهـا الإسلام فى الحياة الاجتمـاعية حتى تستقيم حياة البشر.

قال تعـالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [طه].

---

(1) انظر كتاب أصول المجتمع الإسلامى، تأليف د. جمال الدين محمد محمود.

قال مجاهد والحسن ترك بذكر تعالى تشريف آدم وتكريمه وما فضله به على كثير ممن خلق تفضيلا.

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدنى، قال: يا رب، وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمنى، قال: يا رب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان، فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟ يا ابن آدم، استسقيتك، فلم تسقنى، قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى»[1].

شرح الحديث من شرح النووى على صحيح مسلم:

قوله عز وجل: «مرضت فلم تعدنى، قال: يا رب، وكيف أعودك وأنت رب العالمين . . . إلخ».

قال العلماء: إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى، والمراد العبد تشريفا للعبد وتقريبا له.

قالوا: ومعنى (وجدتنى عنده) أى وجدت ثوابى عنده، وكرامتى ورحمتى - ويدل عليه قوله فى تمام الحديث: (لو أطعمته لوجدت ذلك عندى، ولو أسقيته لوجدت ذلك عندى) أى ثوابه وجزاءه، والله أعلم. والحديث دليل على فضل عيادة المريض، وعلى فضل إطعام المحتاج، وعلى فضل سقى الماء ولا شك أن ذلك كله من مكارم الأخلاق، التى يدعو إليها الإسلام، وبُعث النبى ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق.

عن أبى ذر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ فيما روى عن الله تعالى أنه قال: يا عبادى، إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرما، فلا

(1) انظر الأحاديث القدسية 1 - 2 من شرح النووى.

تظالموا، يا عبادى، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدونى أهدكم، يا عبادى، كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعمونى أطعمكم، يا عبادى، كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسونى أكسكم، يا عبادى، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذوب جميعا، فاستغفرونى أغفر لكم، يا عبادى، إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك فى ملكى شيئًا، يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكى شيئا، يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا فى صعيد واحد، فسألونى، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندى، إلا كما ينقص المخيط، إذا أدخل البحر، يا عبادى، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمنْ وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه».

شرح الحديث:

(إنى حرمت الظلم على نفسى . . .). قال العلماء: معناه تقدست عنه وتعاليت، والظلم مستحيل فى حق الله سبحانه وتعالى، أى لأن الظلم تجاوز الحد والتصرف فى ملك الغير وكيف يتجاوز سبحانه حدا، وليس فوقه من يطيعه؟ وكيف يتصرف الله فى غير ملكه، والعالم كله ملكه وسلطانه؟.

وأصل التحريم فى اللغة: المنع، فسمى تقدسه سبحانه عن الظلم تحريما، لمشابهته فى الممنوع، فى أصل عدم الشىء.

وقوله تعالى: (وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا). هو بفتح التاء أى لا تتظالموا والمراد لا يظلم بعضكم بعضا، وهو تأكيد لقوله: (وجعلته بينكم محرما). وزيادة تغليظ فى تحريمه.

وقوله تعالى: (كلكم ضال إلا من هديته). قال المازرى رحمه الله ظاهر هذا

أنهم خلقوا للضلالة، إلا من هداه الله تعالى. وفى الحـديث المشهور: (كل مولود يولد على الفطرة) أى فيحصل التعارض. وقال فى الجواب: قد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبى ﷺ.

أو أنهم لو تركوا وما فى طباعهم من إيثار الشهوات والراحة، وإهمال النظر - لضلوا (وهذا الثانى أظهر).

وفى هذا دليل لسـائر أهل السـنة - أن المهـتـدى هو من هداه الله تعـالى، وبهدى الله اهتدى، وبإرادة الله تعالى له ذلك.

وقوله تعـالى (ما نقص ذلك مما عـندى، إلا كما ينقـص المخيط، إذا أدخل البحر).. المخيط: بكسر الميم، وفـتح الياء - هو الإبرة. قال العلماء: هذا تقريب للأفهام - ومعناه لا ينقص شيئًا أصلا.

كمـا قال فى الحديث الآخـر: (يد الله سخاء، لا يغـيضها نفـقة) - أى لا ينقصهـا نفقة، لأن ما عند الله لا يـدخله نقص وإنما يدخل النقص الشىء المحدود الفانى، وعطاء الله تعالى من رحـمته وكرمه، وهما صفتـان قديمتان - لا يتطرق إليها نقص.

فضرب المثل بالمخيط فى البحر، لأنه غاية ما يضرب به المثل فى القلة وعدم ظهور النقص من المأخوذ منه.

فالمقصـود التقريب إلى الأفهـام بما شاهدوه، فإن البحـر من أعظم المرئيات عيانا وأكبرها - والإبرة من أصغر الموجـودات - مع أنها ثقيلة لا يتعلق بها ماء إذا انغمسـت فى البحر، والله أعلم.

وقوله تعالى: (يا عـبادى، إنكم تخطئون بالليل والنهـار) الرواية المشهورة، بضم التاء - من أخطأ - وروى بفتح التاء وفتح الطاء من (خطئ).

يقال: خطئ - بكسـر الطاء يخطأ - بفتحها، إذا فعل ما يأثم به عامدا، فهو خاطئ ومنه قوله تعالى: ﴿... اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف].

فكرة الخطيئة الأزلية

روى القرآن الكريم قصة خطيئة آدم بما لا يلقى عبء الخطأ على المرأة بل إن إلقاء العبء على الرجل يكاد يكون هو الأقرب في النصوص القرآنية فقد ورد النهي عن الأكل من الشجرة المحرمة موجهًا إلى آدم وحواء معًا من قبيل المساواة في التكاليف قال تعالى:

﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ [الأعراف].

وهنا يبدو التكليف على أصل المساواة بين آدم وحواء والعصيان معهما معا والاعتراف صدر منهما معا وكان الجزاء لهما معًا، وفي القرآن الكريم ما يجعل آدم عليه السلام هو المسئول الأول يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ [طه].

ولكن القصة تنتهى بالاجتباء والتوبة ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) ﴾ [طه].

لهذا نرى الإسلام يتمشى مع منطق المساواة فى الكيان الإنسانى من وحدة الخلق ووحدة التكليف وتوحد الجزاء فى الدنيا والآخرة، وقد جاءت قصة آدم وإبليس والعداوة بينهما فى سبع سور من القرآن، هى حسب ترتيب المصحف، كالآتى: البقرة، الأعراف، الحجر، الإسراء، الكهف، طه، ص.

كما جاء ذكر الحديث عن معصية الأكل من الشجرة المحرمة فى ثلاث سور هى: البقرة، الأعراف، طه.

وبتدبر ما جاء فى القرآن العظيم، وما جاء فى الكتاب المقدس خاصا بآدم وزوجه وإبليس والمعصية البشرية الأولى، نلاحظ الآتى:

كان إبليس أول العصاة فى هذه القضية[1]،

فلم يطع أمر الله بالسجود لآدم، فقد: ﴿ ... أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة].

وكان إبليس، يتصور نفسه أفضل من آدم بحكم مصدر تخليقه حيث قال: ﴿ ... أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف].

ومهما يكن من شىء، فإن الله برحمته الواسعة، قبل توبة آدم وزوجه، بعد أن اعترفا بالذنب، وندما على المعصية، وطلبا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف].

وقال الإمام الأكبر محمود شلتوت - شيخ الأزهر سابقا - فى معرض حديثه عن المرأة فى نظر الإسلام: إن القرآن الكريم حينما تحدث عن الأصل الذى تفرع منه الإنسان، جعل المرأة شريكة فيه للرجل، ومن مجموعها تعددت القبائل والشعوب، وانتسبت الأفراد بالبنوة لكل من الرجل والمرأة، وبذلك كان الرجل أبا، وكانت المرأة أما.

واعتبر القرآن الكريم ذلك نعمة على الإنسان، توجب عليه الشكر، وتوجب عليه تقوى الله ومراقبته، توجب عليه النظرة المستقيمة إلى أخيه الإنسان الذى يشاركه فى معنى الإنسانية، وفى نسبته إلى أصله الذى تكونا منه.

---

(1) انظر تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة (فى اليهودية والمسيحية والإسلامى) لواء أحمد عبد الوهاب.

ومعنى هذا أنه لا تفاضل بينهما من جانب الإنسانية، وأن التفاضل إنما يكون بما يكتسبه الإنسان من الخلال التى ترقى بالإنسانية إلى المستوى الفاضل.

ولعلنا نجد فى مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ... ﴿١﴾﴾ [النساء].

وفى مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

وقد كان من فروع الاشتراك فى تلك العنصرية الإنسانية، أن سمى الرجل والدا، والمرأة والدة، وجاءت التعاليم القرآنية بوضعهما معا موضع التكريم والإجلال.

وما كانت الوصايا الكثيرة التى حثت على الإحسان بالوالدين.. أثرًا لهذا الأصل الذى قرره القرآن فى أصل الإنسان وتكوينه:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... ﴿٣٦﴾﴾ [النساء].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء].

المسئولية

أما المسئولية فلا تقع على الإنسان بسبب خطأ والده[1].

كما هو الحال فى عقيدة الخطيئة الأولى التى تجعل أبناء آدم جميعًا مسئولين عن خطأ أبيهم الأول عليه السلام.

وبنات حواء مسئولات عن خطيئة أمهن الأولى.

ولكن لا مسئولية على المسلم إلا إذا كان قد علم سلفًا بالقاعدة الأخلاقية وعرفها.

ولا مسئولية بدون إرادة حرة للفاعل فالعمل اللا إرادى يجب أن يستبعد - بادئ ذى بدئ.

لقوله تعالى:

﴿ ...وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ... ﴿٥﴾ ﴾ [الأحزاب].

وذلك عن قصة إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ [مريم].

---

(1) انظر كتاب دستور الأخلاق فى القرآن، تأليف د/ محمد عبد الله دراز.

الشرح[1]:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: «واذكر فى الكتاب إبراهيم» واتل على قومك هؤلاء الذين يعبدون الأصنام، واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن الذين هم من ذريته ويدعون أنهم على ملته وقد كان صديقا نبيا مع أبيه كيف نهاه عن عبادة الأصنام، فقال: «يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا» أى لا ينفعك ولا يدفع عنك ضررا «يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك» يقول وإن كنت من صلبك وترانى أصغر منك لأنى ولدك فاعلم أنى قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جاءك بعد «فاتبعنى أهدك صراطا سويا» أى طريقًا مستقيما موصلا إلى نيل المطلوب، والنجاة من المرهوب «يا أبت لا تعبد الشيطان» أى لا تطعه فى عبادتك هذه الأصنام فإنه هو الداعى إلى ذلك والراضى به كما قال تعالى: «ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين» وقال: «إن يدعون من دونه إلا إناثًا وإن يدعون إلا شيطانًا مريدًا»، وقوله: «إن الشيطان كان للرحمن عصيا» أى مخالفه مستكبرا عن طاعة ربه فرده وأبعده فلا تتبعه تصر مثله: «يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن» أى على شركك وعصيانك لما أمرك به «فتكون للشيطان وليا» يعنى فلا يكون لك مولى ولا ناصر ولا مغيث إلا إبليس وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك كما قال تعالى: «تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم».

وفى الحديث:

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصنى،

---

(1) انظر تفسير ابن كثير (سورة مريم).

فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتنى أن لا تخزينى يوم يبعثون، وأى خزى أخزى من أبى الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إنى حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذبح ملتطخ فيؤخذ بقوائمه، فيلقى فى النار.

شرح الحديث:

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: يلقى إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة، أى سواد كالدخان، وغبرة أى غبار، فيقول له إبراهيم - عليه السلام - ألم أقل لك: لا تعصنى. إشارة إلى قوله تعالى: «يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا».

فيقول أبوه: (فاليوم لا أعصيك). فيقول إبراهيم عليه السلام: يا رب إنك وعدتنى أن لا تخزينى يوم يبعثون. أى فإنه دعا بذلك ولم يكن بدعاء ربه شقيا، فهو كان يرجو الإجابة.

قال: (وأى خزى أخزى من أبى الأبعد) أى من رحمة الله، فالفاسق بعيد من رحمة الله والكافر أبعد منه قال تعالى: «إن رحمة الله قريب من المحسنين». فيقول الله تعالى: (إنى حرمت الجنة على الكافرين)، أى وإن أباك كافر، فالجنة حرام عليه (ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟) على الاستفهام، ليلتفت عن النظر إلى آزر (فإذا هو بذبح) الذبح بكسر الذال، وسكون الياء، آخره خاء معجمة: ضبع كثير الشعر (ملتطخ) أى بالدم أو بالرجيع الذى يخرج منه (فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار).

وعند ابن المنذر: (فإذا رآه كذلك تبرأ منه. وقال: لست أبى) - والحكمة فى مسخه ضبعا دون غيره من الحيوان، ومن حمقه أنه يغفل عما يجب التيقظ له،

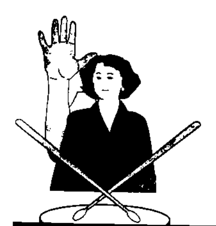
---

(1) انظر الأحاديث القدسية 1 - 2 شرح القسطانى.

فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس إليه - شبه به - والحديث دليل على أن شرف الولد لا ينفع الوالد إذا لم يكن مسلما، وكذا العكس، كنوح عليه السلام مع ابنه. والله أعلم.

الباب السادس

العولمة والمرأة



العولمة

العولمة من أكثر العناوين والقضايا حضوراً واهتمامًا على النطاق العالمى الواسع[1].

وتعود بدايات استخدام مصطلح «العولمة» إلى كتابين صدرا عام 1970م، الأول لمارشال ماك لوهان - عالم الاجتماع الكندى «حرب وسلام فى القرية الكونية»، والثانى «أمريكا والعصر الإلكترونى» لزبجنيو بريزنسكى - مستشار الأمن القومى فى عهد الرئيس الأمريكى كارتر.

والعولمة هى تلك المفاهيم والمصطلحات، وكذلك المقولات الجديدة التى وفدت إلى المعجم المعاصر للعلوم الاجتماعية والإنسانية إثر تفكك منظومة المعسكر الاشتراكى فى أوربا الشرقية وانتهاء الحرب الباردة أواخر عقد الثمانينيات، وغدت قوتا يوميا يلوكه الباحثون والدارسون وذوو الاهتمام بقضايا الاجتماع الإنسانى والمجتمع العالمى من مختصين وغير مختصين على حد سواء[2].

ولكن هذا الجيل ليس أول جيل يحيا ذروة تحول هائل. والتغيرات العنيفة التى شهدها العقد الماضى ليست مغايرة لتلك التى صاحبت انتشار الإسلام خلال القرن الذى أعقب وفاة الرسول ﷺ أو الاستعمار الأوربى للأمريكتين بعد عام 1492م، أو بداية الثورة الصناعية فى القرن الثامن عشر، أو إنشاء النظام الدولى الراهن فى هذا القرن. بيد أن ثمة اختلافًا بين تجربة التغير المعاصرة وتلك التى حدثت فى الأجيال السابقة، فلم يحدث إطلاقا من قبل أن حدث التغير بمثل هذه

(1) العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية فى العالم الإسلامى - مصطفى دسوقى كسبة.

(2) العولمة ذلك المفهوم المراوغ. د/ بركات محمد مراد/ مجلة العربى عدد 526 (سبتمبر 2002م)، ص 28.

السرعة - بل ودفعة واحدة فى بعض الحالات - على مثل هذا النطاق العالمى، وعلى هذا النمو المشهود عالميا.

والعولمة - مفهوم نظرى يعبر عن توجه أيديولوجى يعكس إدارة مركزية للاستقطاب والهيمنة على العالم من خلال الدعوة إلى تبنى نموذج حضارى محدد وإرساء دعامات هذا النموذج وتكريسه باستخدام آليات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال. ومن ثم كان مفهوم العولمة تجريداً نظريا يشير إلى عملية تغيير دراماتيكى كبرى، تحفر مجراها فى مسار التاريخ الإنسانى الراهن وتؤثر بعمق بالغ فى كل المجتمعات المعاصرة، المتقدمة والنامية سواء بسواء.

والعولمة - هى أيضا وحدة المعمور من الأرض فى مجالات التفاعل الإنسانى وهى ذات مدلولين[1]:

أ - مدلول سالب، وهو انفعال المغلوبين القابلين لتأثير أصحاب الغلبة فى عصر من عصور التاريخ للمعمور من الأرض.

ب - مدلول موجب، هو فعل الغالبين فى التاريخ بأدوات الفعل الغازى غزواً بارداً (بالثقافة والاقتصاد)، أو حاراً (بالعنف والاضطهاد) منذ أقدم الإمبراطوريات الشرقية.

ومن المعلوم أن وسائل الهيمنة كانت وما تزال مبنية على قواعد تعد قوائم أخطبوط السياسة الدولية منذ الدولة الفرعونية.

فقد ظهرت ثلاث مشكلات اجتماعية رئيسية هى: الفقر، والبطالة، والتفسخ الاجتماعى. ورغم أن هذه المشكلات الثلاث ليست جديدة، إلا أن تفاقمها فى السنوات الأخيرة، جعل آثارها تتعدى الحدود القومية. فالفقراء أصبح عددهم فى العالم يصل إلى الخمس، أى 1.5 مليار نسمة. والعاطلون عن العمل

---

(1) العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية فى العالم الإسلامى - مصطفى دسوقى كسبة.

يصلون إلى مثل هذا الرقم. وأدت البطالة والفقر معًا إلى مزيد من التفسخ الاجتماعى، فازدادت حدة الجريمة والعنف والتطرف والفساد، والرقيق الأبيض، وتعاطى المخدرات والتهريب بكل أنواعه. كما أن من هذه الآثار انفجار صراعات أهلية مسلحة، وسرعان ما تنشر رقعتها إلى خارج حدود الدولة التى بدأ فيها الصراع ومن ذلك تدفق المقتلعين واللاجئين، والهاربين، والذين يقدر عددهم فى الوقت الحاضر بأكثر من خمسين مليونًا.

إن قيام موجة العولمة المعاصرة - على ما يذهب إليه أحد الباحثين - مرتبط إلى حد بعيد، بتشابك وتنامي وتسارع انتشار هجرات بشرية متعددة الاتجاهات والمضامين، من الجنوب إلى الشمال، ومن الشرق إلى الغرب وبالعكس، وهو ما يوسع جدًا من شبكة التفاعلات الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية بين البشر ويعمق مداركها العامة ويطلق مخيلاتهم إلى أبعد الحدود بأشكال ووسائل لم يعهدها البشر سابقا[1].

---

(1) العولمة ذلك المفهوم المراوغ. د/ بركات محمد مراد/ مجلة العربى عدد 526 (سبتمبر 2002م)، ص 28.

المرأة فى عصر العولمة

ربما لم تواجه المرأة المسلمة امتحانًا في دينها وتنشئتها الاجتماعية منذ أربعة عشر قرنًا من التاريخ الإسلامى، كما تواجهه الآن فى تحديات الأقمار الصناعية والإنترنت وما تحمله فى بعض برامجها من ثقافة جديدة على العالم كله. تتحدى فى مضمونها أخلاقيات الأديان عامة والإسلام خاصة وتحاول مستترة وراء حرية الكلمة والصورة إلى تحطيم المجتمعات وتنشئة الشباب والفتيات تنشئة اجتماعية تساعد على الانحلال والتسيب. قد يؤدى هذا المخطط - لا قدر الله إذا نجح - إلى زوال الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الإسلامى[1].

ولن تستطيع أن تواجه هذا الطوفان المدمر من الإباحيات والسلوكيات إلا بتربية الفتاة والمرأة المسلمة تربية إسلامية سليمة، حيث إن ذلك الغزو الكاسح عبر أدوات التكنولجيا الحديثة من أقمار صناعية وشبكات تليفزيونية عابرة للقارات وحدود الأوطان وشبكات صناعية وشبكات حاسبات عالمية (إنترنت) يهدد الخصوصية القيمية والثقافية لمجتمعاتنا مما يفرض ضرورة تحرك أجهزة التنشئة الاجتماعية على مستوى الأسرة والمجتمع للحفاظ على الموروث الثقافى والمضمون القيمى اللذين يشكلان خصوصيتنا وهويتنا المنبعثة من ديننا وتقاليدنا الراسخة[2].

ولأن المرأة هى أساس تلك الأسرة التى هى أساس المجتمع فيكون التركيز عليها أكبر بالنسبة للتنشئة الاجتماعية، وذلك لأهمية الفتاة أو المرأة فى المجتمع، حيث إنها:

---

(1) ندوة التنشئة الاجتماعية للدكتورة ابتسام مصطفى عطية.

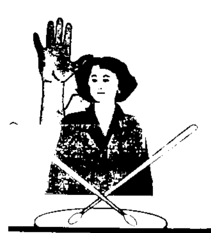
(2) ندوة التنشئة الاجتماعية - ورقة عمل عن دور التنشئة الاجتماعية فى الحفاظ على الموروث الثقافى فى العادات والسلوكيات فى ظل ثقافة العولمة - للدكتورة نادية توفيق محمود وافى.

1 - تحمل المرأة مسئولية تربية الأطفال فى السنوات الأولى، وهى بذلك تبنى القاعدة الأساسية للعقل والشخصية، فإذا حملت المرأة زادًا من العلم الشرعى فهى وسيلة بإذن الله لتربية أبنائها وتعهدهم ورعايتهم وتعليمهم ما يجهلون من دينهم.

2 - المرأة هى نصف هذا المجتمع وهى التى تعكس صورته، فإذا كان المجتمع مجتمعًا فاسدًا اتضح ذلك فى سلوكها وسلوك أبنائها.

الباب السابع

المرأة بين العالم والعنف الجسدى ضدها



وقفة قصيرة

إن الإسلام أول من حرر البشرية وأخرج الدنيا من الظلام إلى النور، وغزا العالم أجمع بنور العلم.

فقد جاء الإسلام ليؤكد عراقة حضارتنا القديمة ويزيد عليها ويجعلها إماما على العالم.

قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة].

فخرج منها ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع الذى شهد له أكبر المؤرخين بعبقريته، فقد قال عنه المؤرخ تونى: «إنه عبقرى عربى أنجز فى فترة تقل عن أربع سنوات عمل العرب الطويل فى قطعة من الأدب».

ولا ننسى قائدنا العربى صلاح الدين الأيوبى وغيره الكثير من العباقرة العرب ومنهم (ابن الهيثم).

فالعرب فى القديم كانوا ملوك الأرض شرقًا وغربًا وكانوا سادة الناس على الأرض.

ولكننا الآن اندرجنا وراء حضارات باطلة لم يكن لها وجود من قبل وهى الآن تغرق وسط انحرافاتها الداخلية.

فيا لها من أمة عريقة بحضارتها فوالله إن لم يكن فيها خير لغرقت مع تلك الحضارات الأخرى.

ومن ثم فنحن لنا بيئة مختلفة وعادات واعتقادات وتقاليد راسخة.

فتلك البيئة الصحراوية الحارة تجعل شبابنا ينمو عقليا وجسديا فى سن مبكرة وتبدأ من تسع سنوات.

أما الغرب فينمو شبابهم فى سن متأخرة تبدأ من (15 - 18) سنة؛ وذلك لبيئتهم الثلجية.

لذلك فلا ينبغى أن نستسلم لتلك الهيمنة الغربية التى أرادت فقط أن تغرق حضارتنا العريقة.

فبدلاً من ذلك يجب علينا التمسك بدين الله.

وإليكم بيانًا بتلك الانحرافات التى تغرق الحضارة الغربية قبل أن تبدأ، فنحن نأخذ حضارة من ليس لهم حضارة.

المرأة بين العالم والعنف الجسدى ضدها[1]:

يجمع الآن المجتمع أنواعًا من العنف الجسدى ضد المرأة وذلك بسبب غياب الوعى الدينى لدى الأجيال.

فى أمريكا مليون طفل من الزنا كل عام ومليون حالة إجهاض.

من أبلغ ما كتب بهذا الصدد مقال لكاتب أمريكى صدر فى فى إحدى المجلات الفكرية الكبرى، ويحذر فيه الغرب من عواقب ذلك التدهور الذى سيحول الدول الغربية - فى رأيه - إلى دوائر إغاثة وإعاشة لضحايا الجنس والطلاق. ويستهل مقاله بقوله: إن إحصائيات عام 1979 تدق ناقوس الخطر.. فعدد اللواتى يلدن سنويا من زواج شرعى وفى سن المراهقة لا يقل عن ستمائة ألف فتاة بينهن لا أقل من عشرة آلاف فتاة دون سن الرابعة عشرة من العمر. وإذا أضيف إلى ذلك عدد اللواتى يلدن بدون زواج بعد سن المراهقة فإن العدد الإجمالى يتجاوز المليون.. ومعنى هذا أن الولايات المتحدة الأمريكية تستقبل

(1) عمل المرأة فى الميزان، تأليف الدكتور محمد على الباز.

مليون طفل سنويا (من الزنا والسفاح) وأن على الدولة أن تقوم بإعالتهم وأمهاتهم مما يشكل كارثة اقتصادية لأن كل طفل يكلف الدولة ما يقرب من 18 ألف دولار.. ومما يزيد فى حجم الكارثة ارتفاع نسبة الطلاق فقد بلغت فى عام 1979 ما يقرب من 40 ٪ من جميع حالات الزواج.. ومعنى هذا أن على الدولة أن تقوم بإعالة المطلقات اللائى لا يعملن».

ويعلق الدكتور محمود زائد كاتب المقال فى الشرق الأوسط قائلا: «والكارثة في الواقع ليست اقتصادية فحسب.. فهى اجتماعية قبل كل شىء، وقد تزلزل بنيان الأسرة التقليدى وتهدمه».

وإذا علمنا أن هناك ما يزيد عن مليون حالة إجهاض تجرى فى الولايات المتحدة سنويا.. وإن وسائل منع الحمل منتشرة بل وتقوم المدارس بتدريسها للطلبة والطالبات منذ المراحل الابتدائية؛ لأن تدريسها فى المراحل الثانوية والجامعية أصبح بدون جدوى؛ وذلك لأن معظم حالات الحمل تقع فى سن المراهقة.

إذا علمنا ذلك وعلمنا أن سبب ارتفاع الطلاق هو الاتهام المتبادل بالخيانة الزوجية... لهالنا أن نعرف أن الزنا أمر شائع جدا.. وإنه من النادر جدا أن تجد إنسانا ما فى تلك المجتمعات لم يمارس الزنا..

بل لقد وصل الأمر إلى السخرية من العذرية.. وإن وجود فتاة عذراء فى المجتمعات الغربية يُعتبر مجلبة للعار والخزى لأنها رجعية وبالية الأفكار.

ولم يكتف أهل الغرب بذلك فإن السعار الجنسى الذى لا يريد أن يشبع.. ينتقل من نوع السلوك الجنسى إلى نوع آخر، ومن جريمة إلى أبشع.

وقد انتشرت فى الغرب حالات الاغتصاب الجنسى.. وانتشار الشذوذ الجنسى... وانتشار نكاح المحرمات... وانتشار الاعتداء الجنسى على العاملات والموظفات.. فقد كان يقال قديما إن الكبت الجنسى وعدم تفريغ هذه الطاقة الضخمة يؤدى إلى هذا الشذوذ الجنسى واكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء..

ونرى زيادة مخيفة فى حالات الاغتصاب.. وظهرت فى الفترة الأخيرة إلى السطح موضوع نكاح المحرمات من الأخوات والبنات.. ونكاح الابن لأمه والأخ لأخته والوالد لابنته.. مما يثير التقزز فى أكثر الناس ولوغا فى الجريمة[1].

وفى بريطانيا تقول الإحصائيات إن هناك حالة طلاق من بين كل حالتى زواج، كما ذكرته جريدة المدينة فى عددها الصادر 27/5/ 1400.. وتقول الإحصائيات إن هناك 8 ملايين عانس.. ولكن ليس معنى ذلك أنهن عذارى فجميعهن تقريبًا يمارسن الجنس (الزنا) ويكاد جميعهن يعرفن وسائل منع الحمل.. ومع هذا فقد أجريت مائة وعشرون ألف حالة إجهاض عام 1973 نصفهن تقريبًا دون العشرين.. ولا يزال هذا العدد فى ارتفاع.. وفى الولايات المتحدة تقع حالة طلاق كل 27 ثانية أو مليون حالة طلاق سنويا (انظر مجلة U.S. News عدد 21 نوفمبر 1983).

المرأة فى المجتمع العربى والعنف الجسدى ضدها ورأى الإسلام:

(1) التفرقة بين الذكر والأنثى فى الأسرة:

حتى الآن ما زال فى بعض الدول النامية التفرقة بين الذكر والأنثى فى الأسرة ابتداء من الولادة.

وذلك مرفوض فى الإسلام بل ويعتبر ذلك من عادات الجاهلية.

فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الزخرف][2].

الشرح:

«وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا» جعل له شبها بنسبة البنات إليه؛

---

(1) عمل المرأة فى الميزان، تأليف الدكتور محمد على الباز.

(2) تفسير الجلالين/ قدمه وراجعه أ. مروان سوار، سورة الزخرف آية 17.

لأن الولد يشبه الوالد، والمعنى إذا أخبر أحدهم بالبنت تولد له «ظل» صار «وجهه مسودا» متغيرا تغيـر مغتم «وهو كظيم» ممتلئ غما فكيف ينسب البنات إليه؟ تعالى عن ذلك.

وذلك لأن الولد يرث اسمه ومن ثم يشبـه الولد الوالد والاعتقاد بأن البنات تجلب العار إلى أهلها.

وبذلك تتواجد بعض الاتجاهات فى الأسرة مثل:

1 - عدم الاعـتدال والتوزان بين الأبناء (الإناث، والذكـور) فى التدليل أو القسوة مما يؤدى إلى تكدس الأحزان والهموم.

2 - التميـيز والمقارنة بين الأبناء بعضهم عن بعض (الإناث، والذكـور) فقد يؤدى ذلك إلى إحباط أحد الأبناء (الأنثى) فيجعلها تبحث عمن يفهمها أو شيء تتفوق فيه.

3 - الإهمال وعدم متابعة الحوار داخل الأسرة.

4 - التوبيخ الدائم والمستمر للفتاة دون الولد لتذكيرها بأنها أنثى.

5 - تسلط الولد على الفتـاة في الأسرة؛ وذلك لأنه ذكر دون أى امـتيازات تجعله المتسلط الأول عليها.

هذا لاعتقاد البعض أن للرجل سيادة مطلقة على المرأة.

وبدل من أن يربى الأبناء على احـترام المرأة وتقديرها، إذا بهم يتـعلمون أن للرجل الكلمـة المسمـوعة والرأى الصـواب والحق فى السـيطرة على كل شيء بل وضربها لأتفه الأسباب.

وهكذا تتحطم نفـسية الفتاة داخل الأسـرة بل وقد يمتلئ قلبها حـقداً وكرها لأخيها.

وبذلك فقد فتح الباب على مصراعيه للتعرف على أصدقاء السوء أو لأن تضل الطريق.

الإسلام يرحب بالأنثى منذ ولادتها:

الترحيب بالأنثى منذ الولادة:

يرحب القرآن الكريم بالأنثى منذ مولدها ويعتبرها هبة من الله تعالى تماثل هبة الذكر تماما. بل إنه ليجعلها فى الترتيب سابقة الذكر. فإنجاب الإناث والذكور، أو عدم الإنجاب، هى أمور بيد الله الخالق العليم القدير[1].

قال تعالى:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى].

وكل هبة من الله ونعمة تتطلب الحمد والشكر، ولا يكون الشكر مجرد كلمات جوفاء تتردد، بل إنه يتمثل فى الحفاظ عليها ورعايتها وتنميتها وحسن استخدامها.

(2) التعليم[2]:

وما زال فى بعض المناطق النامية حق المرأة مهدور فى التعليم وتعيش فى ظلمات الجهل لا تستطيع أن تبنى أجيالا لتحمل اسم الإسلام.

فيعتقد البعض أن المرأة مخلوقة فقط للبيت ولا ينبغى أن تخرج من بيتها إلا عند الزواج أو الوفاة.

---

(1) تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام، لواء أحمد عبدالوهاب.

(2) مركز المرأة فى الإسلام، المستشار أحمد خيرت.

وقرر الإسلام أن المرأة إنسان كامل، لا حق لأحد على إكراهها على ما لا تحب وترضى بكرا كانت أو ثيبا، ولأن الحياة الزوجية لا تستقيم إلا فى ظل المودة والألفة، ولقد جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن أبى زوجنى ابن أخيه ليدفع بى خسيسته، فجعل الأمر إليها إن شاءت قبلته، وإن شاءت رفضته، فقالت: قد أجزت ما صنع أبى يا رسول الله، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من أمر بناتهن شيء. وهكذا يقرر الإسلام أن المرأة لها كمال الحرية فى الاختيار والرفض ولا حق لأحد أن يجبرها على ما تكره.

وكيف تقوم مودة ومحبة مع الإكراه؟

إن الذين يرغمون أبناءهم ذكوراً أو إناثًا على الزواج بمن يكرهون، يخربون بيوتهم بأيديهم، ودلت التجارب على أن العواقب دائما وخيمة، وأن مصير الزواج إلى طلاق، وقد تنتحر الفتاة، وحينئذ تعظم الحسرة، فليتق اللهَ الآباءُ والأمهاتُ.

الزواج:

(1) قضايا الزواج تغيرت وتبدلت، فالزواج الشرعى أدخل عليه ما هو منه براء - الحب قبل الزواج، اختلاء الخاطب بمخطوبته[1].

وهناك أمور آخرى تبكى من كان له قلب وتجعل العقد الشرعى أمرا رسميا لا غير.

(2) وأصبح الزواج الآن منتشرا بين أوساط الشباب بالصورة التى بينهم لا سند لها من الشرع، وما هو إلا فساد فى الأرض[2].

حتى التصورات العامة حول هذا الموضوع لم تسلم. فلا زواج للفتاة إلا بعد الخامسة والعشرين أو أكثر، ولا شاب يتزوج إلا بعد الثلاثين بدعوى تكوين نفسه.

---

(1) فتياتنا بين التغريب والعفاف، د. ناصر بن سليمان العمر، ص 27.

(2) المرأة المسلمة بين عدل الشريع وواقع التطبيق، أ.د. آمنة محمد نصير، ص80.

حكمة التشريع للزواج:

شرع الله الزواج لحكم سامية، وغايات نبيلة، وفوائد جليلة، وأمر بتيسير أسبابه؛ لأنه هو الطريق السليم للتناسل، وعمران الأرض بالذرية الصالحة.

ولم يشأ الله تبارك وتعالى أن يترك الإنسان كغيره من المخلوقات.

فيدع غرائزه تنطلق دون وعى، بل وضع النظام الملائم الذى يحفظ للإنسان كرامته. وبهذا وضع للغريزة طريقها المأمون، وحمى النسل من الضياع، وصان المرأة أن تكون دمية بين أيدى العابثين أو كلا مباحا لكل واذع[1].

القسوة والشدة فى التعامل مع المرأة:

وذلك بالآتى:

1 - التسلط بفرض الرأى عليها والتدخل فى كل شئونها العامة وجعلها تشعر بعدم آدميتها بالإضافة إلى الضرب، والتهديد بالقتل.

2 - الإسراف فى اللوم والتأنيب وإشعارها بالذنب والمقارنة بينها وبين إخوانها الذكور[2].

وذلك لأن بعض الناس يعتبرون أن من الرجولة والشهامة ضرب المرأة والخشونة معها، أما ملاطفتها والإقبال على مودتها من الميوعة التى لا تليق بالرجل، وذلك رفضه الإسلام فهو موجب لغضب الله، وخروج على هدى رسول الله ﷺ، فقد قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج».

---

(1) تفسير سورة النور - روائع البيان بقلم: محمد على الصابونى.

(2) انظر كتاب الزواج وآداب الزفاف فى ضوء السنة النبوية المشرفة، أنور على عاشور، ص74.

وهو عوج معنوى يتمثل فى فكرها ولسانهـا، أما تأديبها فهو حق للزوج إن لم تطعه زوجته بشرطين، وهما كما قال تعالى

﴿ ... واللَّاتِي تخافُون نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ واهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ واضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ... ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء].

والشـرطان كمـا ذكـرت الآية أن يبدأ الزوج أولا بالموعـظة، فإن لم تتـعظ يهجرها، أى بالمقاطعة ولا تجوز المقاطعـة أكثر من ثلاثة أيام كما جاء فى الحديث: «لا يحل لمسلم أن يهـجر أخاه فـوق ثلاثة أيام»، فإذا لم ينفع مـعها ذلك فـيحل الضرب غير المبرح ودون تجريح وإهانات.

فهذه قصة رجل سأل رسول الله ﷺ ما حق المرأة على زوجها، فقال رسول الله ﷺ: «أن تطعمهـا إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسـيت، ولا تضرب الوجه ولا تهجر إلا فى البيت».

الاغتصاب:

بدأ فى الفترة الأخيرة ظهور جريمة اغتصاب الفتيات، وهى جرائم غريبة عن المجتمعات الإسلامية انتفض لها المجتمع.

وهو يمثل جانبًا من جوانب العنف ضد المرأة ويشكل أزمة حقيقية فى الدول الإسلامية.

وقد تعددت تلك الجرائم فى السنوات الأخيرة للأسباب الآتية:

1 - بعد الأبناء عن الدين وعدم وجودة القدوة.

2 - تعاطى الخمر أو المخدرات؛ لأن هذه الأشياء تفقد الإنسان سيطرته على نفسه، فيقدم على تصرفات طائشة أو غير سوية.

3 - اقتحام الأقمار الصناعية والإنتـرنت لبيوتنا وما تحمله فى بعض برامجها من ثقافة جديدة على العالم الإسلامى.

وهو في نظر الإسلام جريمة من أشنع الجرائم ومنكر من أخبث المنكرات، ولذلك كانت عقوبته شديدة صارمة؛ لأن في هذه الجريمة هدرا للكرامة الإنسانية، وتصديعًا لبنيان المجتمع، وفيه تعريض النسل للخطر، حيث يكثر (اللقطاء) وأولاد البغاء، ولا يكون هناك من يتعهدهم ويربيهم وينشئهم النشأة الصالحة!![1].

ومن أهداف الشريعة الإسلامية الغراء، وأغراضها الأساسية حفظ الضروريات الخمس وهي: (العقل، والنسل، والنفس، والدين، والمال) وسميت بالضروريات أو الكليات الخمس؛ لأن جميع الأديان والشرائع قررت حفظها.

نظرة المجتمع للرئيسة المرأة[2]:

تتكلم الخبيرة النفسية (كرستين جريفين) عن التفرقة بين الرئيسة المرأة ونظيرها الرجل فتقول: عندما يناقش المدير مع مرؤوسيه تفاصيل العمل يقال عنه إنه محاور جيد، في حين أنهم يقولون عن المديرة إذا فعلت نفس الشيء: امرأة ثرثارة! وإذا كانت شخصيته قوية يعجبون به، أما هي فيتهمونها بحب السيطرة.

وإذا كان طموحًا فهي متطلعة، وإذا كان المدير يعمل بذكاء فالمديرة تعتمد على أنوثتها.

ولا شك أن المرأة تتأثر من هذا الموقف المعادي لها بسبب نجاحها ولا تعرف كيف تتصرف.

وذلك لأن الرجل لا يزال يرى أنه الأحق بالعمل والنجاح وأن المرأة مكانها الطبيعي والوحيد هو المنزل وخدمة الأولاد، والطاعة الكبرى...

---

(1) تفسير سورة النور - روائع البيان - محمد على الصابوني.

(2) مجلة كل الناس عام 1999.

وأول سلاح يستخدمه الرجال لمحاربة المرأة هو سمعتها وسلوكها الشخصى.

راى الإسلام[1]:

وجريمة القذف والاتهام للمحصنات تولد أخطاراً جسيمة فى المجتمع. فكم من فتاة عفيفة شريفة لاقت حتفها لكلمة قالها قائل.

لذلك اعتبر الإسلام القذف جريمة من الجرائم الشنيعة التى حاربها الإسلام حربا لا هوادة فيها، فإن اتهام البريئين والوقوع فى أعراض الناس، والخوض فى (المحصنات الحرائر) العفيفات، يجعل المجال فسيحًا لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئا بتلك التهمة النكراء.

الحل:

التنشئة الاجتماعية للمرأة المسلمة للحفاظ على هويتها الإسلامية ثقافيا فى عصر العولمة.

ربما لم تواجه المرأة المسلمة امتحانا فى دينها وتنشئتها الاجتماعية منذ أربعة عشر قرنًا من التاريخ الإسلامى كما تواجهه الآن فى تحديات الأقمار الصناعية والإنترنت وما تحمله فى بعض برامجها من ثقافة جديدة على العالم كله تتحدى فى مضمونها أخلاقيات الأديان عامة والإسلام خاصة، وتحاول مستترة وراء حرية الكلمة والصورة إلى تحطيم المجتمعات وتنشئة الشباب والفتيات تنشئة اجتماعية تساعد على الانحلال والتسيب. قد يؤدى هذا المخطط لا قدر الله إذا نجح إلى زوال الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الإسلامى.

ولن نستطيع أن نواجه هذا الطوفان المدمر من الإباحية والسلوكيات إلا بتربية الفتاة والمرأة المسلمة على التنشئة الاجتماعية الإسلامية تذكيراً لها وتحصينًا لها وإرشاداً لها من خطر العولمة فى السلوكيات الدخيلة علينا. فيجب أن تقوم التربية

(1) روائع البيان: الأحكام الشرعية فى الإسلام، لمحمد على الصابونى.

الاجتماعيـة للمرأة المسلمة على تذكيرها بما لها فى الشريعة الإسـلامية من حقوق وواجبات لعل منها ما لم تصل إليه نسـاء الغرب الحديث، ولعل منها كذلك ما لم تتمثله بعض المجتمعات الإسلامية ولم تبلغه المرأة المسلمة الجديدة. ففى آية الزوجية فى القرآن الكريم يبين الإسلام للمرأة المسلمة أن الله قد خلقها هى والرجل من نفس واحدة شطران متكاملان لا تقوم حياة للبشرية بانفصالهما ولا يمكن لأحدهما أن يحقق وجوده على الأرض بمعزل عن الآخر.

قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم].

برأ الإسلام المرأة من وزر الخطيئة الأولى لهذا العالم، ومن مسئوليتها فى إخراج أبينا آدم من الجنة.

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ [طه].

ويقول تعالى:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ﴾ [طه].

وهكذا تقرر فى الدين أن المرأة تحمل نصيبها من التبعة لا التبعية وذلك بمقتضى كمال إنسانيتها واستقلال شخصيتها فحمل أمنا حواء تبعتها من الخطيئة الأولى؛ لأنها أكلت مع زوجها من الشجرة المحرمة فتحملت نصيبها من الوزر كاملا، إعلانا لاستقلال شخصية المرأة فى الإسلام وتحملها لتكاليف رشدها وأمانة إنسانيتها كاملة كالرجل سواءً بسواء كل منهما مسئول عن عمله إن خيرا أو شرا،

ومحاسب عليه ثوابا وعقابا، ورغم وحدة الأصل يعلن الإسلام استقلال الشخصية بمسئوليته التكليف. ومناط المساواة هنا فى الإسلام بين الرجل والمرأة مرتبط بما يحمله كل فرد منهما من أمانة إنسانية وتبعات تكاليفها فلا يستوى الخبيث ولا الضال ولا المهتدى ولا تستوى الظلمات والنور.

وقد حمل الإسلام المرأة مسئولية التنشئة الاجتماعية لأبنائها وبناتها وكرم النساء بأن جعلهن أمهات للأنبياء عليهم السلام إشارة إلى أن فى وسع المرأة أن تقوم بالتربية والتنشئة على أكمل وخير صورة.

وعلى سياق التاريخ نذكر من أمهات الأنبياء ـ على سبيل الذكر لا الحصر ـ اللاتى اصطفاهن الله سبحانه وتعالى لتنشئة رسالته فى مرحلة الحضانة والطفولة وهى المرحلة العميقة الأثر فى تكوين شخصية الإنسان وتوجيهه إلى آخر العمر.

- أم إسماعيل عليه السلام التى تكفلت وحدها برعاية وليدها فى أقسى الظروف المناخية والبيئية حينما تركها سيدنا إبراهيم بواد غير ذى زرع فى وحشة الخلاء وهجير الصحراء وفى رعاية هذه الأم شب إسماعيل ليكون نبيا.

- وكذلك أم موسى وجهدها لكى تخفى وليدها عن عقاب فرعون بقتل أطفال بنى إسرائيل ثم محاولاتها الجاهدة لتقصى سير المهد فى النهر ثم وصولها لإرضاعه لكى يكون نبيا ورسولا.

- ومريم المطهرة المصطفاة ويكفيها شرفًا ومجدًا لها ولبنات جنسها أن ينتمى عيسى إليها فهو (المسيح عيسى ابن مريم) عليهما السلام.

- وتأتى فى صدارة هذا الركب من أمهات الأنبياء (آمنة بنت وهب) أم اليتيم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، مات أبوه وهو فى رحم أمه فعاشت به تكفله وترعاه ودخلت فى وجدانه وقلبه حتى (وصفت الجنة تحت أقدام الأمهات).

كل هذا القصص القرآنى ذكره القرآن الكريم لكى يحث الأمهات على تربية أولادهن وبناتهن فضرب لهن المثل الأعلى بأمهات الأنبياء والرسل وهم الصفوة

من خلق الله . ثم يحرص الإسلام على تنشئة المرأة تنشئة اجتماعية علمية ثقافية فيحثها على التثقيف والتعلم حتى لا تطغى على مفاهيمها وعقلها الآراء الخارجة عن الدين والمستهدفة لتحطيم اجتماعات الأسر والأمم فيقول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم». وفى بعض الروايات (ومسلمة) هذا وإن كانت كلمة مسلم هنا تشمل الجنسين، ثم يحث الإسلام المرأة فى تنشئته الاجتماعية لها على العمل الصالح[1].

قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

(1) من ندوة التنشئة الاجتماعية للدكتورة ابتسام مصطفى عطية.

أهم المراجع:

1 - السيدة خديجة (كتاب مدرسى) مقرر للصف السادس الابتدائى، تأليف أحمد محمد صقر، نهضة مصر.

2 - الزواج وآداب الزفاف - أنور على عاشور - مكتبة القرآن.

3 - قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالى.

4 - (السيرة النبوية) هذا الحبيب لـ أبو بكر جابر الجزائرى.

5 - تفسير ابن كثير، سورة النمل، التحريم، المؤمنون، القصص.

6 - تفسير سورة النور، روائع البيان لـ محمد على الصابونى.

7 - كتاب مدرسى أولى ثانوى صناعى، نسيبة بنت كعب.

8 - منهاج المسلم لـ أبو بكر جابر الجزائرى.

9 - أصول المجتمع الإسلامى، تأليف د/ جمال الدين محمد محمود.

10 - دستور الأخلاق فى القرآن، تأليف د/ محمد عبد الله دراز.

11 - المرأة فى القرآن - الشيخ محمد متولى الشعراوى.

12 - طبائع النساء للفقيه أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسى.

13 - تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة (فى اليهودية والمسيحية والإسلام) لواء أحمد عبد الوهاب.

14 - مركز المرأة فى الإسلام، المستشار أحمد خيرت.

15 - تفسير الجلالين، أ. مروان سوار.

16 - عمل المرأة فى الميزان، الدكتور محمد على البار.

17 - ندوة التنشئة الاجتماعية للدكتورة ابتسام مصطفى عطية.

18 - المرأة المسلمة بين عدل التشريع وواقع التطبيق، أ.د/ آمنة محمد نصير.

19 - كتاب الأحاديث القدسية.

20 - العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية فى العالم الإسلامى، مصطفى دسوقى كسبة.

21 - العولمة ذلك المفهوم المراوغ - د. بركات محمد مراد، مجلة العربى العدد 526 (سبتمبر 2002م)، ص 28.

22 - ورقة عمل عن دور التنشئة الاجتماعية فى الحفاظ على الموروث الثقافى فى العادات والسلوكيات فى ظل ثقافة العولمة، ندوة للدكتورة نادية توفيق محمود وافى.

23 - بحث: تساء حول الرسول ﷺ لنور الشام محمد أحمد، أجازه الشيخ/ أحمد حسن شلوبة - المعهد العالى للدراسات الإسلامية - الخرطوم.

24 - فتياتنا بين التغريب والعفاف - د. ناصر بن سليمان العمر.

25 - الإساءة إلى المرأة - دكتورة/ هبة محمد على حسن، الناشر/ مكتبة الأنجلو المصرية.

26 - أسماء الله الحسنى لـ أحمد عبد الجواد.

27 - كتاب رياض الصالحين للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى، شرح وتحقيق/ سعيد محمد اللحام - دار ومكتبة الهلال.

28 - كتاب تربية الأولاد فى الإسلام - د/ عبد الله ناصح علوان، الناشر - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

29 - كتاب قصة الديانات، تأليف/ سليمان مظهر.

30 - مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية/ محمد الغزالى.

31 - موقف الإسلام من تنظيم الأسـرة - وزارة الأوقاف ووزارة الإعلام - الهيئة العامة.

32 - رياض الصالحات: قطوف تربوية من بستان النبـوة، جمعه وعلق عليه بدوى محمود الشيخ.

33 - انظر كتاب نساء حول الرسول - تأليف السيد الجميلى.

هذا الكتاب

نزل الإسلام بالحرية المطلقة لجميع البشر فكان حماية للضعيف ونصراً للمظلوم ومساواة للعبيد وحرر المرأة وكرمها وساوى بينها وبين الرجل واعترف بها كمحور الأمة كما قيل.

وبذلك كانت الأمة الإسلامية تملك جميع دول الغرب والشرق.

ومن ثم فإن الإسلام لم يغفل عن أى كبيرة أو صغيرة تخص المرأة . أما ما أصبحنا فيه الآن فهو من منطلق العادات والتقاليد التى لم يعترف بها الإسلام حيث أصبحت أجيالنا ضائعة بين الماضي والحاضر ؛ وأصبح من الضروري إعادة تربية المرأة التربية السليمة لإعداد جيل يعرف ما علية وما له.



I.S.B.N. 977-350-111-6